الجـــمهورية الجـــزائرية الـــديمقراطية الشـــــعبية
وزارة التـــــــتعليم العـــــالي والـــــبحث الـــعلمي
المـــركز الجـــــامـــعي بالـــــــبويـــــــــرة
- الـــــعـقيد أكـــــلي محـــــند أو الحاج –
معهد الـــــلغات و الأدب العربي
قسم اللغة العربية وأدابها

-الموضـــــوع-

البعد النفسي لشخصيات " رســـالة الغفران"

لأبـــــــــي العلاء المـــــعري

- مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس-

من إعداد الطالبتين:

***بـــن عبدي وهيبة**

***مـــــرزوق فريال**

- إشـراف الأستاذ:

***علوات كمال**

- السنة الجامعية: 2010/2009 –

اهـــداء-

إلى أعز الناس على قلبي *أبـــي وأمـــي.اللذان سهرا من أجل ارتقائي إلى أولى المراتب وحملاني بأحسن المناقب.
إلى أخوتي وأخواتي *زهية،فاطمة الزهراء،صبرينة ،رزيقة،وحيد ومراد.
إلى زميلاتي*فريال،صليحة،عائشة،فضيلة،غمير،زبيدة،زهرة....
إلى كل أساتذة المركز الجامعي بالبويرة،خاصة أساتذتنا الأفاضل بمعهد اللغات والأدب العربي.

إلى كـل مـن سـاعـدني مـن قـريـب أو مـن بـعـيـد.

أهدي هذا العمل

بـن عـبدي وهيبـة

إهـــداء-

إلى أطهر، وأزكى، خلق الله قرة أعيننا محمد{صلى الله عليه و سلم}.

إلى أبـــي و أمـــي اللذان سهرا من اجل بلوغي أعلى القـمم

إلى إخوتي{ خديجة، و ناسة، دليلة، عبد القدر، سعـــــاد، ياسين، رضا، سرور} اللذين كانوا بمثابة سندا لـــــــي.

إلى أساتذتي- الطور الابتدائي – الذين كان لهم كل الفضل في تعليمي.

إلى أساتذتي الأفاضل بمعهد اللغـات والأدب الـــعربي بالبويرة.

إلى زميلاتي وزملائي اللذين كانوا عونا لي في مسيرتي الدراسية {وهيبة، صليحة، عائشة، فضيلة، غمير، .....}.

أهـــــــــــــــدي هـــــذا العــمل.

**** فـريـــال مـــرزوق****

" الخطة الشاملة "

- **مقدمة:**

- **مدخـــل:** علاقة الأدب بعلم النفس.

1) - الفصل الأول: نشأة النقد النفساني.

2)- الفصل الثاني: أبو العلاء المعري والإبداع الشعري

3)- الفصل الثالث: دراسة نفسية لبعض شخصيات "رسالة الغفران"

- خاتمة

- قائمة المصادر والمراجع.

- الفهرس.

مقدمة:

إن الحياة الإنسانية تكاد تكون واحدة في محتواها وجوهرها، أما التغير الذي يحدث هو الزاوية والتي ينظر من خلالها إلى مظاهر الحياة الحيوية، فالسيكولوجي لا يكتشف منها إلا جانبا من الجوانب، لذلك ليس من الغرابة في طبيعة الأشياء أن يستفيد الأدب وعلم النفس معا، فرسالة الغفران لأبى العلاء المعرى مثلا هي نموذج من النماذج التي تساعدنا فى فهم علاقة الأدب بعلم النفس،و البحث الدى نحن بصدد إنجازه حول هده الرسالة،خاصة فيما يتعلق بها من الجانب النفساني،فمحتوى البحث يصب كله حول نشأة النقد النفساني ،و كدا كشف شخصية أبى العلاء المعرى السيكولوجية من خلال إبداعاته الأدبية، وكنموذج من مؤلفاته وجدنا أن رسالته التي بعثها لصديقه ابن القارح اقرب طريق لفهم العلاقة الموجودة بين الأدب و علم النفس وذلك أيضا عن طريق التحليل النفسي لبعض شخصيات الرسالة ،و على هذا الأساس فان الإشكالية التي يتمحور حولها هذا البحث هي كالتالي:

- ما هو البعد النفسي الذي تطرحه شخصية أبى العلاء المعرى من خلال مؤلفه رسالة الغفران؟؟

أما فيما يتعلق بالإشكاليات الثانوية فهي تندرج تحت ثلاثة عناصر:

- كيف نشا النقد النفسي؟

- كيف يمكن تطبيقه على شخصية أبى العلاء من خلال إبداعه الأدبي؟
- هل يقودنا التحليل النفسي لفهم كل شخصية من شخصيات الرسالة؟

أما فيما يخص الدوافع التي قادتنا إلى اختيار هذا الموضوع فهي دوافع ذاتية و موضوعية في نفس الوقت فالأولى تتمثل تأثرنا بمؤلفات أبى العلاء المعرى و كدا ميولنا إلى كل ما هو نفسي باعتبارنا أناس دوى نفوس تؤثر و تتأثر في نفس الوقت فكل علم كان نجد في جوفه جانبا من الجوانب النفسية التي لن نستطيع التخلي عنها أما الدوافع الموضوعية فتتمثل في التعرف والبحث في مجال النقد النفساني وعلاقته بالأدب.

وعلى هذا الأساس فقد إرتينا إلى أن نقسم بحثنا هذا وفق المخطط التالي:

- مقدمـــة
- مدخل تمهيدي: يضم و يتحدث عن علاقة الأدب بعلم النفس، اما فيما يخص الفصل الأول فخصصناه لنشأة النقد النفساني، أي أننا تطرقنا إلى أهم مراحل نموه بدءا من جذوره مرورا بنظرياته وصولا لنقاط ضعفه، وفي الفصل الثاني تطرقنا فيه إلى الكشف عن شخصية أبي العلاء من خلال إبداعاته الأدبية، وأعقبناه بفصل ثالث و أخيرا متمثلا في نموذج تطبيقي يخص الدراســة أ و التحليل النفسي لبعض شخصيات " رسالة الغفران"، وهذا ما ساعدنا على اختيار المنهج الدقيق والملائم المنهج النفساني التحليلي .أما فيما يخص المراجع و المصادر التي تغذى عليها هذا البحث، فهي لا تقل عن أربعين مرجـــعا

و مصدرا، متنوعة مابين الأدب والنقد و علم النفس، نذكر على سبل المثال:

- كتاب "سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد" لزين الدين المختاري.
- كتاب " مناهج النقد المعاصر " لصلاح فضل .
- كتاب " نظريات النقد النفسي وتطبيقاتها "لأحمد رحماني.
- كتاب" توطئة في علم النفس الأدبي" لأحمد عزام.

أ

ولقد واجهتنا بعض الصعوبات أثناء إنجاز بحثنا هذا، جلها و أهمها تتعلق بقلة المراجع التي لها صلة بالنقد النفسي الأدبي، بالإضافة إلى تضارب و اختلاف النقاد، وكذا مؤلفي سيَر الشعراء حول شخصيات الرسالة، خاصة فيما يتعلق بحياتهم العاطفية، و السيكولوجية.

وعليه سعينا إلى وضع بصمتنا، والتي تعتبر كاجتهاد شخصي يسعى و يرمي إلى كل ما هو جديد ومثمر في الساحة الأدبية العربية.

مدخل:

مصطلح " البعد " :

إن لفظة "البعد" اصطلاحا هو شيء يشمل عدة مجالات حيث " أنه مفهوم رياضي يعني الامتداد الذي يمكن قياسه.و يشير البعد أصلا إلى الطول و العرض و الارتفاع، و قد اتسع معناه ليشمل أبعاد سيكولوجية، فأي امتداد أو حجم يمكن أن يقاس فهو بعد"[1] ، أي لم يعد يقتصر إلى مفهوم واحد . بل نجدة كمصطلح في عدة ميادين سواء نفسية أو اجتماعية أو ثقافية و حتى تاريخية .

- البعد النفسي :

يتطلب منا قبل الدخول في مضمونه أن نعرج إلى تعريف النفس و لو بشكل موجز ، حيث أن هناك اختلاف كبير عند الفلاسفة في تعريف أو تحديد المفهوم . حتى أن بعضهم أنهى تعريفات النفس إلى أربعين تعريفا .

النفس هنا هي مركز العواطف و الميول و الشهوات لدى الإنسان، يطلق عليها القرآن الكريم تارة عنوان "النفس" و يطلق عليها تارة أخرى " القلب". و بإختصار النفس هي الدائرة الداخلية التي تتمركز فيها العواطف و المشاعر و الأحاسيس السلبية منها و الإجابية .

فالنفس عند أرسطوا واحدة، لها مظاهرها المختلفة مثل التغدي و النمو و التوالد و الإحساس و الحركة و الشهوة و التخييل و الإدراك.

- بعد الشخصية :

هذا المفهوم معناه أنه لا يحمل تعريفات مضبوطة أي أنه ليس بمفهوم تطبيقي محسوس،"فبعد الشخصية مفهوم مجرد،فلم ير احد بعد الشخصية أبدا بشكل محسوس،بل انه تخطيط رمزي يساعدنا على فهم الشخصية و قياسها "[2] . أي تحليل و إكتشاف سلوكاتها و تصرفاتها و أنماطها المتعددة و المختلفة من شخصية إلى أخرى .

انه كل ما يختص بالمشاعر و الإنفعالات و الرغبات ، و كل ما يختص بتكوين موقف الفرد من الجنس الذي ينتمي إليه، و موقفه من الجنس الآخر و إتجاهاته نحو الحياة. و من هما يؤثر البعد النفسي في سلوكيات الفرد .

البعد النفسي ليس سوى التمثل السلوكي المعلن و الخفي غالبا ، الذي يأتي تعبيرا عن التصادم الصارخ البين ، كما يراه فرويد الرغبة و الواقع ، أي تصادم ما تراه الشخصية الروائية حقا من الحقوق الطبيعية و الفطرية مع ما يفرضه الخارج المجتمعي سواء أكان تقاليد جمعية أو عادات و سلوكات فردية و أسرية .

---

1): أحمد محمد عبد الخالق ، قياس الشخصية ، دار المعرفة الجامعية للنشر و التوزيع، الأزاربطة الإسكندرية 2007 ص 64.

2): -نفسه، ص 64.

ويتشكل البعد النفسي إنطلاقا من درجة وحدة التصادم و درجة القدرة الذاتية للشخصية و إمتلاء الذات أو إهتزازها و إضطرابها .و يكون هذا البعد السالف الذكر في الاستعداد و السلوك من رغبات و آمال و عزيمة ،و فكر و مزاج الشخصية من انفعال و هدوء و انطواء او انبساط*[3].

كذلك إذا تحدثنا عن البعد النفسي في الرواية فإننا تقصد به تلك التوترات و التموجات النفسية التي خالجت الشخصية الرئيسية في الرواية. أما الكشف عنه فيقصد به ما يندرج عموما في الجانب النفسي من عواطف و أحاسيس و معطيات ذهنية و أخلاقية و فلسفية. فإذا كان علم النفس قبل فرويد يطابق بين النفسي و الشعوري ، فإن التحليل النفسي لا يرى في الشعور سوى حيز ضئيل من النفسي ، في حين يحتل اللاشعور القيم الأعظم من الحياة النفسية بما يتضمنه من خبرات نفسية و رغبات وذكريات تؤثر في الأداء النفسي للشخصية دون وعي الشخص أو علمه ، و قد استدل فرويد على وجود اللاشعور من خلال ممارسته الإكلينيكية و خصوصا علاجه لبعض الأمراض العصبية كالهستيريا و الوسواس ، ومن خلال تحليل الأحلام و من خلال دراسات لفلتات اللسان و زلات القلم و النكات و في علاقة مع اللاشعور أكد فرويد على وجود طاقة محركة للجهاز النفسي سماها الليبدو تضم الغرائز و الدوافع الحيوية وعلى رأسها الدافع الجنسي .

و في جهة ثانية ربط بين شخصية الفرد و تاريخه ، فاعتبر شخصية الراشد خلاصة و نتيجة لإسهامات مراحل النمو النفسي الجنسي التي يجتازها الفرد خلال الطفولة فالكيفية التي عاش بها الفرد بهذه المراحل، و الكيفية التي انتقل بها من مرحلة إلى أخرى و كذا طبيعة الإثباطات و الإحتباطات . كل ذلك ينعكس على البناء النفسي لشخصية الراشد و يغير إلى حد كبير الإختلالات و الاضطرابات النفسية التي قد تلحقه و بذلك تصح قولة أدوار زورت : " الطفل أبوا الرجل" و على ضوء هذه المعطيات و المقدمات ، يمكن أن نفهم البنية الثلاثية للجهاز النفسي كما عرضها فرويد : الهو ، الأنا ، الأنا الأعلى و التي سنأتي إلى التعمق فيها فيما بعد ضمن نظرية فرويد . معناه أن الشخصية تتكون و تنمو في نفس الوقت من جراء التراكمات الإنسانية و خاصة منها النفسية التي يمر بها كل كائن إنساني و هذه التراكمات هي عبارات عن تجارب و خبرات و مواقف يتعرض لها أي شخص.

البناء و التكوين النفسي للشخصية.

لا شك أن للإنسان حياة نفسية داخلية تعبر عن نفسها في جملة الظواهر الحسية، الحركية و الانفعالية و المعرفية، لكن ما السبيل لدراسة هذا البعد النفسي؟ و أين يمكن العثور عليه؟.على

هذا السؤال تجيب المدرسة الشعورية "بأن الشعور هو الساحة التي تجري فيها وقائع الحياة النفسية و عليه ، فكل الخبرات النفسية هي خبرات شعورية يطالها الوعي من خلال فعل الاستبطان .

غير أن المدرسة السلوكية الحريصة على تحديد موضوع يكون قابلا للدراسة و الوصف و القياس الدقيق، استبعدت الشعور نظرا لطابعه الغامض الغير الدقيق و استعاضت عنه بمفهوم السلوك باعتباره مجموعة ردود الأفعال المنبثقة عن المثيرات الخارجية ".بمعنى أن لكل مدرسة وجهة نظر اتجاه هذه المصطلحات التي تصب كلها في ميدان النفس و سلوكاتها . فالشخصية ليست سوى نتاجا نهائيا لأنظمة عادات الفرد التي يمكن إكتشافها عبر ملاحظات تمتد لفترات طويلة نسبيا بيد أن مدرسة التحليل النفسي هي اللتي سلطت اضواءا كاشفة على البعد النفسي للشخصية ، و أثارت أكبر قدر من الجدل و الإهتمام في أوساط علم النفس خاصة و الفلسفة عامة .فكلاهما ساهما في إثراء هذا المصطلح " الشخصية" و ذلك من خلال الغوص في مفاهيمه ، و تعريفاته المتعددة و المختلفة بإختلاف المدارس السلوكية و النفسية. فرويد

---

*): الانبساط،الانطواء:extraversion/introversion:يشير الانبساط إلى الاندماج على الجماعة والاهتمام بالعالم الخارجي وحب الإثارة،واغتنام الفرص والتصدي للأمور والتصرف والتصدي للأمور والتصرف طبقا للوضع الراهن،ويقابل ذلك الانطواء الذي يعتمد على التريث،واخذ الحياة مأخذ الجد مع الميل إلى تنظيم الحياة والتحكم في المشاعر ولأعصاب وندرة التصرف بعدوانية.

شدد على مفهوم اللاشعور عوض الشعور أو السلوك و ربط التكوين النفسي للشخصية بمرحلة الطفولة و نظرا لشخصية الجهاز النفسي كتصريف لطاقة الليبدو[4].

دلالة الشخص و الشخصية :

في اللغة : كلمة شخصية من شخص و"جمعه في القلة "اشخص" و في الكثرة شخوص وأشخاص و شَخَص بفتحتين تشخيص شخوصا،خرج من موضع إلى غيره".[65] عند استعراضنا لدلالات مفهوم الشخصية عثرنا على نمطين من التعاريف نمط أول تتخذ فيه الشخصية معنى مجرد أوعاما يجعلها خاصية كائن يكون شخصا أخلاقيا و قانونيا مسؤولا كقولنا : لكل شخص الحق في ...،ونمط ثان يتخذ فيه المفهوم معنى محسوسا يركز على خصوصيات الفرد باعتبارها تنظيما فريدا لمجموعة من الوظائف الجسمية النفسية و الاجتماعية و يتجلى هذا التنظيم من خلال أسلوب الفرد في الحياة ، و يرتبط بسيرته و تاريخه .

ينتمي النمط الأول من التعاريف إلى المجال الفلسفي و ينزاح مفهوم الشخصية نحو مفهوم الشخص دلالة على الطابع التجريدي الكوني فكانط يرى أن الشخص هو الذات التي يمكن أن تنسب إليها مسؤولية أفعالها و هي قدرة الشخص على الوعي بما هو ثابت خلف الحالات المتغيرة لوجوده.أما هيغل فيعتبر أن الشخصية لا تبدأ إلا حين تعي ذات نفسها لا كمجرد أنا محسوسة محددة،كيفما اتفق،و إنما باعتبارها أنا مجردة تجريدا خالصا.

أما النمط الثاني من تعاريف الشخصية فينتمي إلى مجال العلوم الإنسانية كما عبر عنه "البورت "في قوله بان الشخصية هي التنظيم الإنساني للأنظمة السيكوفيزيولوجية التي تحدد تكيف الفرد بشكل أصيل مع محيطه. هنا تصبح الشخصية نموذجا نظريا و علميا يسمح بفهم كل ما يتميز به شخص معين من خصائص ، و ينتج من تعريف ألبورت أيضا بأن الفرد عبارة عن أنظمة أو أجهزة نفسية و فيزيولوجية متداخلة تسعى إلى التكيف و التفاعل مع محيطها الطبيعي و الاجتماعي و عليه ينبغي البحث عن سر تمايز شخصيات الأفراد .

هناك إذن مقاربتان للشخصية: مقاربة فلسفية أن صح القول و مقاربة العلوم الإنسانية ، لذا نتساءل في مرحلة أولى عما يجعل الكائن البشري شخصا أي أكثر من مجرد عضوية حية و أكثر من مجرد ركام من الوظائف السكيوفيزيولوجية ؟ كيف تتحدد الشخصية من خلال نظام الشخص؟ غير أننا بهذه الأسئلة تكتفي بالبحث عن العام و المشترك بين البشر و الحال أن الفرد أيضا كائن فريد بتركيبته النفسية و تفاعلاته الاجتماعية ، لذا نتساءل في مرحلة ثانية : كيف يتحدد البناء النفسي للشخصية؟.

إن الشخصية الإنسانية كما يؤكد علماء النفس و الإجتماع" وحدة واحدة متكاملة لا يمكن تجزئتها إلى وحدات، حيث نتصور وجود شخصية سياسية و أخرى اقتصادية و أخرى اجتماعية و هكذا.."[7].فتفكيك الشخصية إلى شخصيات لا يجعل الحديث عن كل جانب متفصلا عن الأم ، بل تشغل هذه الجوانب على بعضها تكون في النهاية " الشخصية الكلمة المتكاملة للفرد.

---

1): لليبيدو:الطاقة الإنسانية المحركة للجهاز النفسي و هي تضم عدة مفاهيم كالغرائز و الشهوات إضافة إلى الدوافع الحيوية و التي تضم في اغلب الاحيان الدافع الجنسي.

[5]) الجوهري، الصحاح، باب الشين،مادة شخص،لبنان1976.ص140.

.

1): خلف عبد الله زينات،نقد الشخصية العربية،مجدلاوي للنشر والتوزيع.عمان الأردن ط1.2004ص21.

الأدب و التحليل النفسي :

لعل من الصعوبة إمكان تشكل أدب دون أن يكون هذا الأدب جزءا أو بعض من نفس صاحب أو من أحاسيسه لما هو جولة على الأقل تقرير و هذا يعني ببساطة أن المونتاج المربي هو أول و قبل كل شيء إنتاج نفس بشرية لها أنواعها و رغباتها كما ووعيها و طرائفها في التقليد و المعالجة . و في أعماق كل كائن بشري رغبات مكبوتة لبحث دوما عن أي شيء في المجتمع قد لا يتيح لها ذلك و" لما كان صعبا إخماد هذه الحرائق المشتعلة في اللاشعور فإنه مضطر إلى تصعيدها أي إشباعها بكيفيات مختلفة، فكان الفن إذا تصعيد و تعويض ليما لم يستطيع الفنان تحقيقه في واقعة الاجتماعي و استجابته تلقائية في ذلك المشير أن النائمة في الأعماق النفسية السحيقة" [8] . بمعني تلك المثيرات التي لها علاقة وطيدة بنفسية الفنان أو المبدع ، و" بذلك ينتهي التحليل النفسي إلى أن الابداع الادبي ليس إلا حالة خاصة قابلة للتحليل، لأن كل عمل فني ينتج عن سبب نفسي و يحتوي على مضمون ظاهر و آخر خفي مثله مثل الحلم أي أنه انعكاس لنفس المؤلف."[9] و بمعنى أن كل كائن حي عاقل يحوي في جعبته النفسية أفكار و عواطف، و مشاعر و أحاسيس متنوعة و متعددة هذا من جهة .

وبالمقابل نجد أن هذه العواطف تضغط على أصحابها للخروج بها إلى ميدان التطبيق و الفعالية فيتحول ذلك الكائن من كائن عادة إلى فنان مبدع بصدق مشاعره و أفكاره، و الدافع الآخر إلى حدوث ذلك هو الواقع و الحقيقة التي يعيشها و التي تمنعه من إشباع حاجاته و متطلباته النفسية فيلجأ إلى اتخاذ طريق واحد و قصير و فعال في نفس الوقت و هو طريق الإبداع الفني (الفن).

ما هو التحليل النفسي :

التحليل النفسي هو" فن تفكيك رموز الحقيقة و كل القطاعات الغامضة لتجربة الإنسانية كما يرويها للآخرين أو لنفسه" [10].معناه أن أي إنسان له تحليلاته النفسية الخاصة به ، أي سلوكه الذي يميزه عن الاخرين . فكل فعل أو حركة تمثل رمز و تفكيك هذه الرموز أو الشفرات عن طريق ما يسمونه التحليل النفسي.

يعرف مذهب التحليل النفسي ذاته " جهاز من المفاهيم يعيد بناء النفسية العميقة و نماذج التفكيك، حتى و أن كان حجم النصوص و التوزيع النظري منتميا لأنساق مختلفة للواقع "[11].اي حسب ما تقتضيه الحالة الزمانية والمكانية.

التحليل النفسي هو مدرسة نفسية لسيغمند فرويد و هي تفسير السلوك الإنساني تفسيرا جنسيا وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء .التحليل النفسي نظرية و طريقة في معالجة الاضطرابات العصبية ، و قوامها محاولة نشئ العواطف و الأفكار المكتوبة عند المرء و رفعها إلى مستوي الوعي ثم تحليل حصيلة هذه العملية و تفسيرها . " الأدب و التحليل النفسي يفهمان مقاصد الإنسان في حياته اليومية . قال فرويد " العلم التحليلي دقيق و اختياري لا تستطيع أن تستخدمه مثل النظارة التي نضعها كي نقرأ أو ترفعها عندما تخرج للنزهة لنقيم بنزهة إذن ، و نبحث عن أفضل نظرة كي تقرأ جيدا على الأول نظارة فاعلة لنقرأ بشكل أفضل ".[12] بمعنى أن التحليل النفسي و الأدب، هما جزء من حياة الإنسان ، فالعلم التحليلي هو علم دقيق جدا و هو يمس الحياة الإنسانية لكل مواقفها و عراقيلها و اتجاهاتها .

بما أن الأدب هو نتاج نفسية الإنسان أو بالآخر " المبدع " فتجد أن العلاقة بين الأدب و التحليل النفسي علاقة متداخلة و كل واحد منهما يخدم و يكمل الآخر فالتحليل النفسي يتفحص نفسية الإنسان و يعالجها إن استوجب الأمر ذلك أما الادب بصفة عامة هو نتاج أو ثمرة لنفسية المبدع التي تكون في زمن من الازمان تريد التعبير عن اضطراباتها المجسدة في سلوكيات معنية .

---

2): يوسف وغليس،مناهج النقد الأدبي،جسور النشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2007 ص 22.

3) سام قطوس ،المدخل إلى مناهج النقد المعاصر،دار الوفاء دار الطباعة والنشر ، الإسكندرية، ط01 ص50.

4): جان بلامان نويل ، التحليل النفسي والأدبي ،منشورات عويدات ، بيروت لبنان ط1996،01،ص11.

1): نفس المرجع ص16.

2): عبد العزيز جسوس،إشكالية الخطاب العلمي في النقد الأدبي المعاصر،دار النشر،مراكش ط1 .2007،ص47.

العلاقة الرصينة بين علم النفس و الأدب :

يسهم التطور النقدي عبر مراحل تطور الحضاري من التقدم الذي يتصل بالإبداع الأدبي و الفني في إغناء العملية النقدية ،"[13] ضمن النظريات الصائبة التي بلغت شأوا بعيدا في مضمار النظرية المعرفية النقدية التي ينهض عليها الأدب نظرية التحليل النفسي للأدب لأنها تقوم على التفسير الشامل لجميع النصوص المنجزة .

مما أثبت من اجتهادات النقاد النفسانيين فائدة النظريات المستخدمة و إمكان استخدامها استخداما ناجحا في كل الميادين". و من ذلك العلم الذي يوغل عميقا في أعماق السلوك الإنساني في الأثر الإبداعي الفني من واقع الحياة الاجتماعية.من خلال ما يطرأ عليه من مؤثرات سيكولوجية ، ما جعل الحكم و التفسير و التأويل معولا على التحليل النفسي من منظور النشاط الإنساني القائم على الرغبات و الرغبة موجودة لذاتها في الوجود بكل مظاهر الحياة ، إذن" فلا مناص إلا بمسار نقدي قائم على التحليل النفسي الأدبي محاولا" أن يخضع الأثر الفني إلى اعتبارات عدة جمالية كانت أو أخلاقية من خلال النص الإبداعي المنجز" [14] . و يتبع في هذا الاتجاه شرح النقد الأوروبي بخطوات سريعة و ثابتة مبنية على التحليل النفسي في الأدب و قد اعتبرت الحياة بظاهرتيها الكونية لا تختلف و لا تتغير ، إذ الذي يتغير هو الزاوية التي ينظر منها الإبداع الأدبي و الى المظاهر الحيوية التعاقبية في حياة الإنسانية .

فمن الواضح كل الوضوح أن العلاقة قائمة بين علم النفس و بين العلوم الأدبية .و النفس الإنسانية تشكل وعاء يستبعد كل علم و فن .و"تطورت العلاقة كثيرا بين الأدب و النفس البشرية الغامضة مع ظهور حركة الرومانسية و برزت أسماء عديدة حاولت ربط الخلق الأدبي للداخل البشري **مثل روسو ، بيليك، غوته** ، أما رأي بعض النقاد في الغرب فهو أن أهم و أشد تأثير في التحليل النفسي على الحركة الأدبية بدا واضحا أثناء القيام **بالحركة السريالية movement. Surealist** على يد **أندريه بريتون Andri Britto**n. المفكر الذي استطاع أن يؤسس لعلاقة بين الواقع و الحلم "[15] .و كان لعلم النفس و التحليل الأثر البالغ على النقد الأدبي و مختلف فروع الأدب و أنماطه، و بطبيعة الحال فإن المبدع لا تلده أمه ليعيش في مكتبة و إنما يرتاد المكتبة لينمي خلفية معنية يجمعها مع اللاوعي الإبداعي ليعطي و يخلق عملا أدبي و فن جديد .

و أي عمل أدبي يمكن أن يتضمن سيرة ذاتية مستمدة من اللاوعي في مرحلة طفولة المؤلف ، وليس فقط مرحلة الطفولة كما يعتقد **فرويد** ، بل من مراحل أخرى ،أيضا في حياة هذا المؤلف هذا ما طوره إريك **إريكسون** في دراسات و تركيزه على الدين و السياسة أكثر من الأدب معناه أن المبدع ابن البيئة الظروف التي يعيشها و التي تلازمه طوا مراحل عمره فالفن الذي يقدمه المبدع ليس من وحي أو قبيل الصدفة أو المفاجأة ، بل من قبيل تزاوج كل العوامل الداخلية (النفسية) و العوامل الخارجية المساعدة على ذلك .

إن صلة علم النفس بالأدب والنقد صلة ممتدة الجذور في التراث الإنساني. و خصوصا تلك التي تربط الأدب بصاحبه و هذا التراث واسع يمكن حصره في صفحات قليلة لأن القائمة طويلة تظم عددا غير قليل من أسماء الفلاسفة و علماء النفس فضلا عن النقاد الأدباء و الفنانين.

وقياسا على ذلك " يمكن استشفاف تلك الصلة إن تلميحا أو تصريحا عند أفلاطون في موقفه من الفن و الأدب و عند أرسطو في نظرية " التطهير" و عند من سار على منواله مثل أفلاطون و هوراس و بودلير و هيجل ، و كانط و شوبنهور و برغسون و كرتوشه . و عند علماء النفس مثل : فرويد ، يونغ، شارل بودوان ، شارل مورون ، و غير هؤلاء كثير يضاف إليه عدد لا حصر له من النقاد و الفنانين الذين تأثروا بالمنهج النفسي في دراسة الأدب و شخصيات الأدباء غير أن البداية الحقيقية لنضج علم النفس و تطوره علاقة بالأدب و النقد كانت في النصف الأول من هذا القرن سواء عند الغربيين أو عند العرب"[16].

---

3): محمد أسامة العبد:يومية سياسية(الثورة)،تصدر عن مؤسسة الصحافة والطباعة والنشر،دمشق،سوريا،2005.

1): المرجع نفسه،العدد20.

2): حيان بنوف الحوار المتمدن العدد627 ، 2003

1): زين الين المختاري،سيكلوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد(نموذجا)من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998.ص19.

ففي هذا النصف تغير الأدب و" تطورت العلاقة بين الأدب و علم النفس عبر الزمن حتى تشكل لدينا مايمكن أن نطلق عليه " علم النفس الأدب ، الذي يختص بدراسة شكل و مضمون العمل الأدبي التطور الذي يعطي العمل الأدبي شكله ، و السلوك الإنساني الذي يصفه أي عمل أدبي .و بعد ذلك دراسة كل هذه المواضيع في ضوء ما تعرف من اللاوعي و وظائف الشخصية.

علاقة التحليل النفسي بالنقد :

معلوم أن علاقة التحليل النفسي بالنقد الأدبي خضعت لتقلبات كبيرة في إطار الممارسة النقدية في بحر القرن الماضي و انتقل الاهتمام النقدي بالمجال النفسي من البحث في نفسية المؤلف إلى الشخصية في العمل الأدبي و من ثمة إلى نفسية القارئ و منها العلاقات بين المؤلف و القارئ و النص و اللغة .

لقد بدأ التحليل النفسي يشتغل بوصفه علاجا ينبغي الكشف عن الجوهر المكبوت عن طريق اللغة من خلال الحوار بين المريض و المحلل غير أنه انتقل إلى مجال الإبداع في محاولة للإمساك بمحورين مهمين هما مبدأ اللذة و مبدأ الواقع. و يتضح أن طبيعة النقد النفسي تسعى في الأساس إلى إيجاد قيم و قواعد جديدة تقيم نظام للنقد الأدبي المستفيد من الأبحاث النفسية ليرد بذلك على أطروحات التحليل النفسي التي تسخر من العمل الأدبي لتجعله ميدان لتطبيق النظريات النفسية. "و من هذا المنطلق يغدو التحليل النفسي مبحث من مباحث الدراسة الأدبية و يخضع لمقومات و خصوصيات الجمالية الأدبية و تصبح الهيمنة للخطاب النقدي الأدبي على حساب الجانب المعرفي الابيسمتولوجي الدقيق المتصل بعلم النفس ، فالجهد الأساسي هو خلق منظور جديد يوجد بين التحليل النفسي و النقد الأدبي فلا يقتصر على التحليل اللغوي الشكلي للنصوص"[17] . كما لا ينزع نزعة متطرفة تشوه حقيقة الأثر الأدبي بل هو سعي للكشف عن الجوانب النفسية اللاشعورية من جهة و شبكة الصور البلاغية من جهة أخرى مثمنا كل ذلك وفق رؤية متناغمة منسجمة .

2): جان بلامان نويل،التحليل النفسي للأدب،المرجع السابق.ص 15.

جذور النـقد النـفسـي :

الاتجاه النفسي لبعض ظواهر الإبداع الشعري له جذور بعيدة و يبدوا أن هذا الأمر لا يقتصر على الإبداع الشعري و حسب بل يتجاوز ذلك إلى بعض القضايا الأخرى التي تتعلق بالكشف عن الصلة بين موضوع الشعر طبع صاحبه و ذلك على نحو ما يبدو كلام أرسطو و هو بصدد الحديث عن أثر طبع الشاعر في الفرض الشعري الذي يتناوله حيث يقول :" ولقد أنقسم الشعر وفق طباع الشعراء فذووا النفوس النبيلة حاكوا الفعال النبيلة و أعمال الفضلاء و وذووا النفوس الخسيسة حاكوا أفعال الأوفياء فأنشئوا الأهاجي بينما أنشأ الآخرون الأناشيد و المدائح" [18]. و مع إيماني بصدق ارسطو في موضوع الشعر يتأثر بطبع الشاعر و دخائل نفسه فإنني في الوقت نفسه لا أتفق معه في قصره بعض الأغراض الشعرية على طائفة من الشعراء دون أخرى . فالمدح ليس مقصورا إلى أصحاب النفوس النبيلة من الشعراء . كما أن الهجاء أن الهجاء ليس مقصورا على ذوي النفوس الدنيئة من الشعراء فقد يجيد شعراء كل طائفة في الغرضين و ترا ثنا الشعري خير شاهد على هذا.

كان للتطور العلمي الحديث دوره الفعال في توجيه النقد الأدبي نحو المضامين ، بحثا عن المنفعة المرتجاة من النص الأدبي ، وقد كان أهم الوجهات النقدية الحديثة للتحليل النفسي للأدب و هو قراءة الأدب قراءة تمتد خلف سطحه الظاهري لتغوص عن طريق اللغة و الخيال إلى أعماق النفس المبدعة ، و يستمد مشروعه عن علم النفس ذاته ، ففي رأي بعض النقاد أن " أما وقد أقرنا بإسهامات التحليل النفسي فيصبح لزاما علينا القبول بمداخلته في مجال النقد الأدبي و مجال الفن بصورة أوسع، و من الطبيعي أن يعتمد حينئذ النقد النفسي في كل نظرياته على علم النفس العام و علمي النفس الأدبي و اللغوي لأنها جميعا تعتمد على تحليل الخيال و اللغة، فالتحليل النفسي هو إذن تجربة مسرحها اللغة حصرا "[19]. فاللغة تلعب دورا هاما في مجال التحليل النفسي . يقول رينيه ويليك: " قد نعني باصطلاح سيكولوجية الأدب الدراسة النفسية للكاتب بصفته هو نموذجا و فردا أو دراسة علمية الإبداع أو دراسة النماذج و القوانين النفسية التي توجد في الأعمال الأدبية.

وهذه القضية ترجع إلى الحالة النفسية للشاعر أين يقدم إلى عمل شعري بالنظر إلى كونه إنسان لا يشعر على حال واحدة بل تتغير حالته تبعا لتغير انفعاله ، و ما يتركه من أثر في عاطفته و تجربته الشعرية و على أية حال إذا كان أرسطو فد لاحظ هذه الملاحظة النفسية التي تتعلق ببيان أثر طبع الشاعر في موضوع شعره فإن بعض نقادنا القدامى قد كشف من خلال ملاحظته النفسية من أثر طبع الشاعر في لغة شعره .

و يبدو هذا من فحوى قوله : " فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع دماثة الكلام بقدر دماثة الطبع " ، ثم يستطرد في الحديث مخاطبا القارئ: " و أنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك و أنباء زمانك و ترى الجافي الجلف منهزم أكد الألفاظ صعيد الكلام وعر الخطاب ، حتى إنك ربما وجدت ألفاظه في صوته و نغمته في جرسه"[20].وثمة ملاحظات نفسية أخرى التفت إليها هؤلاء النقاد القدامى علاوة إلى الملاحظات التي تتعلق بالإبداع الشعري و أثر الطبع في موضوع الشعر و في لغة الشاعر، مثل إشاراتهم إلى البواعث النفسية التي تدفع الشاعر إلى قول الشعر و إبداعه و يحفل النقد العربي القديم بكثير من الملاحظات النفسية التي تتعلق بهذا الموضوع من ذلك مثل قول ابن قتيبة متحدثا من هذه البواعث : " و للشعر نوع تحت البطيء و تبعث المتكلف منها الطمع و منها الشوق و منها الشراب، و منها الطرب ، و منها الغضب "[21]. فهذه البواعث هي عبارة عن شحنة انفعالات و مؤثرات نفسية كامنة في النفس البشرية.

كذلك تجد جذور عميقة يمكن أن نشير إليها باقتضاب لكونها تتمثل في تلك المراحل التي لم تكن قد تبلورت فيها بشكل منهجي و إنما كانت تنبثق باعتباره ملاحظات ترد في بعض ظواهر الإبداع و تفسر

---

[18]): عثمان موافي،مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبيةج1،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2005،ص34

[19])احمد رحماني،نظريات النقد النفسي وتطبيقاتها،مكتبة وهبة القاهرة، ط1 . 2004. ص104.

1): عثمان موافي،مناهج النقد الأدبي،ص 43.

2): نفسه ص47

قدرا من و وظائفه في ضوء عدد من الملاحظات التقنية أو الفطرية التي ممكن مثلا أن نجدها في نظريات أفلاطون عن أثر الشعراء على منظومات القيم و الحياة في مدينته الفاضلة بداية لهذا الالتفات العميق للجانب النفسي في بحث فلسفة الأدب ووظيفته ، كما لاحظنا في نظرية التطهير عند أرسطو التي تربط الإبداع الأدبي بوظائفه النفسية "و إذ استعرضنا بعض اللوحات العميقة و النفاذة التي تعثر عليها في طيات النقد العربي القديم سنجد أن كثيرا منها ردَد مقولات مشابهة لعلاقات الشعر بنفس المبدع و تعبيره عنها و عن ضوابط متشابكة و المعقدة التي يمكن أن يقيمها الناقد بين النصوص الأدبية من جانب و بين بواعثها و أهدافها و وظائفها النفسية لدى المبدع و لدى المتلقي من جانب آخر "[22] . أي تشمل ازدواجية التخاطب من ملتقي و متلقي.

نشأتــه :

و بالرغم من ذلك فالمنهج النفسي بدأ بشكل علمي منظم مع بداية علم بذاته منذ مائة عام على وجه التحديد في نهاية القرن 19 بصدور مؤلفات **سيجموند فرويد** في التحليل النفسي و تأسيسه لعلم النفس ، استعان في هذا التأسيس بدراسة ظواهر الإبداع في الأدب و الفن كتجليات لظواهر النفسية . من هنا يمكن أن نعتبر ما قبل فرويد من قبيل الملاحظات العامة التي لا تؤسس للمنهج النفسي بقدر ما تعتبر إرهاصا و توطئة له ، لكن المنهج ذاته يبدأ مع تكون علم النفس أو "علم التحليل النفسي" عند سيغمون فرويد.

و يمكن القول أنه في نقدنا القديم نظرات نفسية لا نظريات فقد أشار إلى المحفزات على قول الشعر ،وهذه البواعث تثير التوترات النفسية التي تدفع إلى قول الشعر نجدها عند أكثر من شاعر. : فقد روي أن عبد الملك ابن مروان سأل ، أرطأة بن مسهية : أتقول الشعر اليوم ؟ فقال : والله ما أطرب و لا أرغب و إنما يجيء الشعر عند إحداهن .

وهذه البواعث تثير نفسية الشاعر ، فدعبل بن علي الخزاعي يقول :" من أراد المديح فبالرغبة ،و من أراد الهجاء فبالبغضاء ، و من أراد التشبيب فبالشوق و بالعشق و من أراد المعاتبة فبالاستبطاء"[23] . بمعنى أن الزمن القديم لم تكن هناك نظريات نفسية محددة بالمفهوم العلمي الحديث و المعاصر ، أي لم تكن لها أي صلة بقوانين ، أو أسس ، أو معايير التي تعتمد على التجربة و الملاحظة و كذا الاستنتاجات النفسية المفسرة لسلوكيات معينة لكن في المقابل ،كانت هناك آراء ونظرات و معناه أن الشاعر قديما عندما كان كثير الهيجان فتتجه صوبه نظرات مختلفة و لكنها تصب كلها في قالب واحد و هو أنه ذو نفسية إنسانية مضطربة ، قاسية ، شديدة ضمن الإطار السلبي أما الشاعر الذي هو كثير المدح و الغزل و الفخر ، فهو ذو نفسية إنسانية هادئة ، حنونة ، قريبة من النفسية أو بالأخرى الشخصية السوية – ضمن إطار إيجابي.

فالمنهج النفسي يرى أن الإبداع ليس إلا حالة خاصة قابلة للتحليل، لان كل عمل فني ينتج عن سبب نفسي ويحتوي مضمون ظاهر،أي انعكاس وتجسيد لنفسية المؤلف،ومن هنا كان على دارس الأدب أن يتلمس بواعث الإبداع النفسي.

إن مرجعية التحليل النفسي للأدب "هي من التحليل النفسي فهو أهم مدرسة نفسية أثرت في النقد الحديث المعاصر كما في الثقافة العربية الغربية"[24] ويتجسد لنا ذلك من خلال دراسات بعض المؤلفات لكتاب وأدباء ،والتي على منوالها استطعنا تحليل سلوكاتهم ونفسياتهم من خلال ما يتجلى وما تحتويه تلك الكتب والمؤلفات من أفكار ومضامين حساسة.

آليات المنهج النفساني:

---

3): صلاح فضل،مناهج النقد المعاصر،دهر الأفاق العربية القاهرة ص 63.

1): احمد عزام،توطئة في علم النفس الأدبي، التحليل النفسي للأدب،شبكة ضفاف الإبداع،2009

2): عبد العزيز جسوس،إشكالية الخطاب العلمي في النقد الأدبي المعاصر،دار النشر مراكش،ط1 ،المغرب،2007.، ص47.

يستمد المنهج النفساني آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي،أو التحلفسي ،على حد نحت عبد الملك مرتاض والتي أسسها سيغموند فرويد في مطلع القرن العشرين.فسر على ضوئها السلوك الإنساني برده إلى منطقة اللاوعي واللاشعور، وخلاصة هذا التصور أن في أعماق كل كائن بشري رغبات مكبوتة تبحث دوما عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك،ولما كان صعبا إخماد هذه الحرائق المشتعلة في لاشعوره ،فانه مضطر إلى تصعيدها أي إشباعها بكيفيات مختلفة.

وعلى تعدد الاتجاهات النفسانية التي نهلت منها الدراسات الأدبية ،فان النقد النفساني ظل يتحرك ضمن جملة من المبادئ والثوابت منها:

-ربط النص بلا شعور صاحبه.

-افتراض وجود بيئة نفسانية تحتية متجدرة في لاوعي المبدع تنعكس بصورة رمزية على سطح النص ،لا معنى لهذا السطح دون استحضار تلك البنية الباطنية.

-النظر إلى الشخصيات الورقية في النصوص على أنها شخوص حقيقيون بدوافعهم ورغباتهم .

-النظر إلى المبدع صاحب النص على انه "شخص عصابي(nevrosè). وان نصه الإبداعي هو عرض عصابي ،يتساوى بالرغبة المكبوتة في شكل رمزي مقبول اجتماعي ".[25] و تجمع عامة البحوث و الدراسات على أن الناقد الفرنسي **شال مورون** الذي إليه يعزى مصطلح النقد النفساني Psycho critique قد حقق للنقد الأدبي انتصارا منهجيا كبيرا .إذا فصل النقد الأدبي عن علم النفس و جعل من الأول اكبر من أن يبقى مجرد شارخ و موضح للثاني.

وعموما فقد استثمرت الدراسات الأدبية حقائق علم النفس و مفاهيمه بكيفيات شتى عبر مجالات مختلفة نذكر منها :

1-دراسة العملية الإبداعية في ذاتها (سيكولوجية الإبداع) و لعل الدكتور مصطفى سويف لرائد هذا الاتجاه بكتابه (الأسس النفسية للإبداع النفسي في الشعر خاصة) .

2- دراسة شخصية المبدع (الاتجاه البيوغرافي أو سيكولوجية المبدع).بمعنى البحث في دلالة العمل الإبداعي على نفسية صاحبه .

ويمكن نذكر من رواد هذا الاتجاه في الممارسات النقدية العربية : عباس العقاد ،النويهي ،المازني .

3- دراسة العلاقة النفسية بين العمل الإبداعي من زاوية سيكولوجية (التحليل النفسي للأدب) " و هذا هو المجال الحقيقي للممارسة النقدية النفسانية " [26] التي يمكن أن نذكر من روادها : أمين الخولي ن محمد خلف الله ، جورج طرابيشي .....

نظريات النقد النفسي :

يستمد النقد النفسي معالم من النظريات النفسية و التي يعتمد عليها ، هذه النظريات هي أطروحات **"سيغموند فرويد** "و التي تولدت عنها باقي النظريات الأخرى و التي سنعددها فيما يلي :

*** نظريات فرويد (1856- 1939) :**

كان هذا العالم على حق في حين اعترف بأن الذين ألهموه نظريات في التحليل النفسي هم الفلاسفة و الشعراء و الفنانون. "لأن الإبداع على اختلاف أنواعه و أشكاله ، هو الرحم الذي يحتضن النفس الإنسانية بحالاتها و تناقضاتها فغالبا ما تكون الظاهرة غفلا في الحياة أو الطبيعة التي أن تقيض لها رجل عبقري يخرجها للناس في صورة مشروع أو قانون أو نظرية أو تجربة"[27].وهذا ما قام به فرويد مستفيدا من تجارب سابقة ، فكان زعيم مدرسة التحليل النفسي و الرائد في هذا المجال . و إن كانت الريادة لا تخلو أحيانا من مزالق و نقائص.

---

1): يوسف وغليسي. النقد النفسي (اتجاهه ، مفاهيمه ، و أسسه، أعلامه) جامعة قسنطينة الجزائر .2006.ص 118

2): يوسف وغليسي،النقد النفسي(اتجاهاته،مفاهيمه،أسسه،أعلامه). المرجع نفسه ص 211 .

1): زين الدين المختاري،سيكولوجية الصورة الشعرية،ص 9.

و قد توصل فرويد إلى غريزتين أساسيتين توجهان الجهاز النفسي أو السلوك الإنساني عموما هما :
1- غريـزة الحـب أو الحيـاة "الايـروس" Eros: و تمثـل الحاجـات النفسـية البيولوجيـة التـي تتـيح للفـرد الاستمرار في حياته و المحافظة على بقاء نوعه.
2- غريـزة المـوت أو الفنـاء " التنـاتوس" **Tatanos**: و تمثـل مختلـف الرغبـات التـي تـدفع الفـرد إلـى العدوان أو التدمير.

و قد انتهى فرويد إلى هاتين الفرضيتين بعد أن عدل من نظريته ،إذ كان يعتقد أن الغرائز الجنسية"**libido** " هي الطاقة التي توجه السلوك الإنساني. و لكنه اكتشف أن اللبيدو قد لا يتجه دورها نحو الآخرين بل قد يرتد إلى الذات فيغرق الفرد في حب نفسه ، و هذا ما يسمى النرجسية ، أو يوقع الأذى و الألم بنفسه للحصول على الإشباع الجنسي ،" وكانت النقطة التي انطلق منها فرويد ، تتمثل في تمييزه بين الشعور و اللاشعور، بين الوعي و اللاوعي بين مستويات الحياة الباطنية ،و اعتبار اللاوعي أو اللاشعور هو المخزن الخلفي غير الظاهر للشخصية الإنسانية ، و اعتباره متضمنا للعوامل الفعالة في السلوك، و في الإبداع و في الإنتاج."[28] و كان اهتمامه منصبا في الدرجة الأولى على تفسير الأحلام باعتبارها النافذة التي يطل منها اللاشعور، باعتباره الطريقة التي تعبر بها الشخصية عن ذاتها، و كان التناظر بين الأحلام من ناحية،و الفن و الأدب من ناحية ثانية مغريا، لاعتبار الفن مظهر آخر من مظاهر تجلى العوامل الخفية في الشخصية الإنسانية .

يعد فرويد أول من اخضع الأدب للتفسير النفسي ، كان شغوفا بقراءة الآثار الأدبية ، شديد الإعجاب بالشعراء و الأدباء ، " لأن الشاعر عنده رجل تراوده الأحلام في حال اليقظة كما تراوده في نومه ، فالشعراء و الأدباء عامة يعيدون قصة الغرائز في لغة ساحرة مؤثرة ، و لكنهم لا يفصحون عن ماهيتها ، و بذلك يوفرون لعالم النفس مادة غزيرة حين يصورون المشاعر العنيفة تصويرا مؤثرا و يكسبونها دلالة شاملة "[29] . فخص بذلك الشعراء و الأدباء عامة بمكانة خاصة حتى انه ليرى أنهم المكتشفون الحقيقيون للاوعي عند الإنسان .

لذلك اعتبر أن الأدب و الفن تعبير عن اللاوعي الفردي بحيث تظهر فيه تفاعلات الذات ،و صراعاتها الداخلية .فمن الواضح أن " يتجه النقد نحو المكبوت في باطن نفس الأديب متخذا النص الأدبي وسيلة لمعرفة باطن الأديب ،على أساس أن الفن تعبير عن مكبوتات.على أن هذه المكبوتات وان اختلفت من وجهة نظر إلى أخرى ،فإنها عند فرويد تتحد في الأسباب الجنسية ، لذلك عرف الفن بقوله :" الفن عبارة عن مكبوتات جنسية متسامية ، و عليه فان مهمة الناقد أن يكشف عن هذه المكبوتات من جهة ، و أن يكشف القناع المتمثل في التسامي من جهة ثانية . و أن يقف على دوافع الشخصيات الوليدة الخيال من جهة ثالثة "[30] .و ذلك لارتباطها بدوافع الفنان .

و جعل اللاشعور الشخصي هو المصدر الحقيقي للابداع ، فالإبداع حسب فرويد هو تنفيس عن الصراع المعتمل داخل الشخصية ، و المتمثل في القمع و الكبت ، و المتطلع إلى أنواع شتى من السلوك ارفعها التسامي الذي يؤدي إلى إظهار العبقرية ، و هو رغبة لم تجد تلبية لها في عالم الواقع ن فانصرفت إلى عالم الخيال، و بهذا يبدو الإبداع تعويضا عن غرض أدنى بغرض أسمى. و بواسطة التسامي (التصعيد) يفرغ الأديب شحنة مستبدلا الهدف الذي لم يحققه بهدف أسمى، ذي قيمة اجتماعية ، كالكتابة الأدبية، و على هذا فإن فرويد يرى الأدباء و الفنانين مرضى ، يخفون عقولهم في إبداعهم .

وعلى هذا الأساس فمهمة الناقد هي البحث في التحولات التي أجراها المبدع لتخطية مكبوتاته بمكتوباته . ما يعني أن المكتوب هو تعويضي على المكبوت. فالفنان عند فرويد مريض ، فهو شخص عصابي ، يقي نفسه عن طريق الإبداع من الانهيار النفسي، كما أنه في نفس الوقت يبعدها عن أي شقاء حقيقي . لأن الشاعر بذلك إنه يمارس أحلام اليقظة و ينشر خيالاته على الناس بشكل متسام خلقيا، و بهذا التسامي يكسب الأدب شرعية الاجتماعية. وفقا لذلك يرى فرويد " أن كل هذه الخيالات تعود إلى تجارب

---

2): .صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 64.

1): احمد حيدوش ، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر 1990، ص 14 .

2): احمد رحماني ، نظريات النقد النفسي ، المرجع السابق .ص 106 .

الطفولة و عقلها و هكذا يصبح النص الأدبي عبارة عن مخزن من المكبوتات ، تصلح للتدليل على الحياة اللاشعورية للأديب"[31] . و يصبح النقد الأدبي هو الطريقة المستخدمة للوفود على تلك المكبوتات، و صور تجليها في النص. و لكن مع كل هذا فإن فرويد يعترف أن التحليل النفسي لم يحل مشكلة الفن.

ولم يغفل فرويد في تحليله لنفس القارئ، أو البحث عن حقيقة المتعة التي يجنيها المتلقي من قراءته الروائع الأدبية و الفنية. فالمبدع في تصوره، حين يضع عالمه الخيالي و يقدمه في قالب فني فكأنه يقدم إلى القارئ إغراءا محفزا على الاستزادة من قراءة أعماله و الاستمرار فيها. بمعني أن الطريق الصحيح و المؤدي إلى الولوج في أعماق القارئ الذي هو بمثابة المتلقي هو طريق الإبداع الفني الصحيح النابع من نفس المبدع التي تدفعه دائما نحو التألق في سماء الأدب الفني و ذلك بإبراز الخيال و كل ما يمس نفسية القارئ .

و لن يحصل المبدع على هذه الضمانة إلا " إذا استطاع أن يتجاوز تجربته الذاتية إلى تقديم تجربة عامة يشرك فيها جميع الناس ، و يجد فيها القارئ على الخصوص ، ما يحقق له المتعة دون شعور بالحياء أو الذنب ، إلى أن يجد رغباته و خيالاته مجسدة في تلك التجربة التي تنم منفعة المتلقي على أكمل وجه إلا إذا كان هناك تجارب بينه و بين المبدع في كثير من المواطن المشتركة"[32] . و هذه المواطن تكونها في نظر " فرويد" العقد و المكبوتات . و كل ما اختزن في اللاشعور ، من ذكريات الطفولة.

تطبيقات فرويد للتحليل النفسي في الأدب :

1- تطبيقه على هاملت :

ستجد أننا لو عدنا إلى فرويد في تحليله شخصية هاملت – "تلك الشخصية الشهيرة التي ابتكرها شكسبير ، و التي كانت رمز للشخصية الفنية المركبة ، المصابة بمس-تلك الشخصية المصابة بشرخ في الوعي نتيجة شعور دفين بالذنب كما رأى فرويد .فهاملت قتل أباه مرارا وتكرارا بسبب حبه الدفين لامه "[33] فعند تناوله لهذه الشخصية ، اعتبر الغريزة الجنسية الباعث الأول على الفن و ليس المحاكاة ، كما كان يرى فلاسفة الإغريق و من تبعهم من فلاسفة و نقاد القرن السابع عشر و الثامن عشر .

و على أساس هذه الغريزة و غيرها ذهب يجعل شخصيتي " ليوناردو ديفانشي و دوستويفسكي " و أعمالهما الفنية ، فبحث الإبداع الفني عند الأول و حلل حلمه في طفولته ذلك النسر الذي حط عليه و هو في المهد و فتح له منقاريه و اخذ يضربه على شفتيه مرات عدة ، وفسر فرويد هذا الحلم بالبطء الذي عرف به هذا الرسام ، الإبطاء في الفن - انجاز أعماله – كما حلل انحرافه الجنسي على مستوى اللاشعور و عدم إكماله لكثير من أعماله الفنية .

و تناول أيضا بالتحليل النفسي شخصية الثاني و روايته المعروفة " الإخوة كمارازوف " فوجد في هذه الشخصية الروائية كل المتناقضات فهي تحمل في تصوره الفنان الخالق المبدع ،الجدير بالخلود و تحمل في الوقت نفسه ، الأخلاقي و العصابي و الآثم المجرم المتعاطف مع الآثمين المجرمين و المهووس بالمقامرة و المولع بتعذيب نفسه و تعذيب الآخرين . وهذا كله مجسد في روايته المذكورة ، إذ رآها فرويد صدى لحياة هذا الروائي الشخصية و انفعالاته الباطنية أو اللاشعورية.

و هي تحمل فوق هذا جريمة قتل الأب و الانحراف الجنسي.و لم يقف فرويد عند حدود تحليل شخصية الفنان و عمله الفني و بيان الصلة النفسية بينهما و حسب ، وإنما اهتم أيضا بتحليل شخصيات و أبطال الأعمال الروائية المسرحية كشخصية " هاملت " و بطلة القصة " غراديفا "."بل إن صورة هاملت تكاد لا تبارح مؤلفاته جميعا منذ عام 1897 إلى عام 1938م. وهي لا تقل أهمية عن اوديب "[34] . فلئن

---

1): احمد رحماني ، نظريات النقد النفسي و تطبيقاته ، ص 107 .

2): احمد رحماني نظريات النقد النفسي و تطبيقاتها، المرجع نفسه، ص 13 – 14.

3): علي وطفة ، الأدب و مصائد التحليل النفسي ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد 286 و 287 ، 1995 .

1): احمد حيدوش ، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ص 14 .

ثبت هذا الأخير القاعدة للاتجاه الطفولي لليبيدو، فان هاملت غدا أنموذجا للشذوذ المترتب على عجز الفرد عن تجاوز تلك المرحلة الاوديبية .

لعل هذه الصورة التي لازمته طوال هذه المرحلة هي التي جعلته ينظر إلى الأثر الأدبي على انه يمثل على نحو واسع عرضا مرضيا مستترا وراء ظاهر المعنى الصريح الذي يشير إليه النص الأدبي .لان النص الأدبي عند فرويد شانه شان الحلم يحمل معنيين احدهما ظاهر و ثانيهما كامن لا يمكن الوصول إليه إلا باستخدام طريقة التحليل النفسي القائمة على التداعي الحر و فهم الأحلام .

لقد عمد فرويد إلى دراسة الآثار الفنية يوم كان لا يزال يهيئ المقومات الأولى لنظرياته ، و لا شك في أن غايته لم تكن يومئذ إيجاد منهج لنقد أدبي يعتمد على التحليل النفسي ، بقدر ما كان يهدف إلى الإتيان بأدلة جديدة يدعم بها فرضياته ، فقد اتخذ مثلا تردد هاملت في الثار لأبيه في مسرحية شكسبير على انه " شلل انفرد به احد الأعضاء ،وبعد أن اصدر دراساته في الهستيريا وجد فيه الحالة المرضية الأولى التي لا يطرأ عليها تحول عضوي بل تبقى فيها الأعراض النفسية محضة

و بذلك أسهمت مسرحية هاملت في التمييز بين العصاب الصرف و بين الهستيريا التي هي من قبيل العصاب التحويلي ، كما اتخذ قصة **غراديفا ليانسن** دليلا على نظريته في الأحلام" [35] و علاقتها بالعمل الأدبي ،فقد حللها على أن صاحبها قد كتبها وفق نظريته في الأحلام فهذه القصة و ما يواكبها من خيال ، إنما تنهض دليلا على صحة علم النفس ، و تلك شهادة ثمينة ينتقيها كل تواطىء سابق لان يانسن لم يطلع على مؤلفات فرويد و عرف مع ذلك كيف يقيم العلاقة بين صور الاحلام و بين الرغبات المستترة ، هذه العلاقة تساعد بان واحد على كشف العواطف و اخفائها ، و كان فرويد قد الح عليها الحاحا شديدا .

لكن فرويد وصل الى ما يسمى بالكبت و الكبت هنا احداث او اشياء منسية او مؤلمة تجاهلها الشخص او بقيت صراعا لم تحل .ان تفسير شخصية هاملت لشكسبير مرجع رئيسي للتحليل النفسي في الادب و من هذا المنطلق للنقد الفرويدي يستند الى :

1- العلاقة بين الوعي و اللا وعي .

2- المحاولة لكشف دافع اللا وعي لشخصيات العمل الروائي .

فهاملت احد ابرز اعمال شكسبير قام عن هاملت لقتل اخيه أي والد هاملت بعد ذلك تزوج امه ، اصبح هاملت يرى شبح والده يظهر يطلب منه ان ينتقم له بان يقتل عمه .لكن تاخر هاملت ، و تقديم اعتذاره كان لاسباب و دوافع لماذا ؟ هذا الموضوع بالتحديد اخذ جدلا واسعا بين النقاد و المهتمين بالادب .لكن التحليل النفسي و فرويد تحديدا قدم تفسيرا بسيطا لما حدث . ان سبب تردد هاملت و تاخير هذا الانتقام انه لديه ما يسمى عقدة اوديب .اي انه كان يرغب بقتل والده .هاملت كان لديه كبت جنسي حول رغبته في ان يمارس الجنس مع امه و يتضح لنا بان عم هاملت قام بكل ما يرغب والده بنفسه لذلك لم يثار لوالده .لكن كيف توصل فرويد الى هذا التحليل ؟

استند فرويد الى احد المشاهد التي يتخيل فيها هاملت جنسيا امه في غرفة النوم ، و من جهة اخرى كتب شكسبير هاملت بعد وفاة والده مباشرة ، و كان لشكسبير ايضا ابن اسمه " هامنت " توفي و هو في سن صغيرة.

يعتقد فرويد ان "الاحلام التي يرسمها الفنانون والادباء في اعمالهم الادبية يمكنا ان تخضع لقانونية التفسير نفسها التي تخضع لها الاحلام الحقيقية"[36].ومن هذا المنطلق يمكن القول بان الاحلام المتخيلة تنطوي ايضا على انعكاساتلا شعورية تتبدى من مستوى الشعور .لقد دفعت الروح المنطقية فرويد الى بناء هذه الملاحظة العبقرية .لماذا لاكون الخيال الادبي متمثلا بنفسه مع معطيات لا شعورية؟ولماذا دائما تكون تجسيدا للمركبات وعقد شعورية؟.ومن هذا المنطلق يعتقد فرويد ان التراجيديا الكلاسيكية تعكس الى حد كبير لعقد نفسية وتبلور الموضوعات التي مازالت منذ الازل تهاجم خيال الانسان وعقله.وهو بهذا الخصوص يعطي لموضوع"هاملت" بعض المؤشرات والتي كان يمكن ان تشكل منطلق لدراسة تحليلية حول هذه التراجيديا،حيث القى الضوء على تفسير الدوافع الحقيقية لشكسبير.

---

1): احمد حيدوش ، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، المرجع نفسه ، ص 15 .

2): علي وطفة،الادب ومصادر التحليل النفسي.ص 22.

ويطرح فرويد تفسيرا لتصرفات هاملت قائما على عقدة اوديب "فهو يرى بانه كان في حياة ابيه مرتبطا بامه كطفل يحبها حبا اثما لايقره المجتمع.ويشعر بالاثم شعورا عميقا ،فلما قتل اباه،احس لاشعوريا بفرحة واغتباط اذ تخلص من منافسه العتيد"[37].ولان هاملت كان عاجزا عن التخلص من ابيه فهو عاجز عن التخلص من عمه لنفس الاسباب

اذ تطرح هاملت نموذجا منفردا في الشخصيات تتجلى فيه القدرة الابداعية المتميزة للشاعر شكسبير.ولذلك راى النقاد ان هذه المسرحية هي سبب خلود ادب شكسبير في عالم المسرح.

تتعدد النظريات السيكلوجية في تفسير "الشخصية "وكثرة عددها قد لا يشكل مفارقة،ولكن المفارقة هي انك حين تقتنع بها،افيكون الايمان بذلك هو ملتقى كل التناقضات؟.لقد فعل ذلك شكسبير في هاملت،وشكسبير سبق علماء النفس في طرحه لمفهوم ان الشخصية لا يمكن تفسيرها بنظرية سيكلوجية واحدة.ولهذا يمكن القول ان احد اسباب خلود شكسبير هو مسرحيته هاملت.بقدرة هذه الشخصية على استيعاب عدد قد لاينتهي من التفسيرات المتشابهة ضمن سياق فكري واحد،والمتباينات في سياقات فكرية مختلفة .لذلك سنقدم مسحا مكثفا لاهم الاجتهادات التي حاولت تفسير شخصية هاملت وترددها على وجه الدقة .

برغم تعدد وتنوع هذه التفسيرات فانه يمكن وضعها على محاور رئيسية بتصنيفات مختلفة .على ان التداخل بينها يبقى قائما في أي تصنيف محتمل،فمثل ما ذهب اليه "برادلي"ان احدا لايمكنه ان يحكم على مزاج هاملت بانه سوداوي.فلا يبدو ما يشير البذلك،ولكن يمكن ان يحكم من خلال مزاج هاملت بانه يميل الى عدم الاستقرار العصبي من خلال تقلبه السريع،وربما من خلال تطرقه في تغيرات الاحساس والمزاج.

اننا لا نكون مخطئين حين نعزو لهاملت في ايامه الاولى الحساسة الحادة."ويمكن ان نطلق عليها "اخلاق"اذا كانت هذه الكلمة تدل على المعنى،وفي حساسيته الاخلاقية هذه يكمن الخطر دون شك.فكل هزة عنيفة يتلقاها تثير حساسيته الاخلاقية باقصى حدتها. وهزة كهذه يمكن ان تنتهي بنتائج ماساوية. ومع هذا المزاج وهذه الحساسية ،نجد في هاملت في ايامه الاولى ،وفي ايامه الاخيرة العبقري المفكر"[38].وهذه هي الصفة الرئيسية التي جعلته مختلفا عن كل المحيطين به،الطيبين والرديئين على حد سواء.وهي التي تميزه ايضا عن معظم ابطال شكسبير الاخرين.

يعتقد برادلي ان هاملت مصاب بمرض السوداوية،وهي محور الماساة المسؤولة عن الحقيقة الاساسية في تقاعس هاملت.لان السبب المباشر لهذا هو شعوره بالاشمئزاز من الحياة ومن كل ما فيها دون استثناء من شخصه.ويكون الاشمئزاز متباينا في شدته اذ يصل احيانا مستوى التبلد ومثل هذه الحالة من الشعور تنفر من أي عمل حازم ، ويذهب آخر ابعد من ذلك اذ يرى ان المزاج السوداوي كان عقدة سائدة في عهد شكسبير اعطى هاملت عن قصد مزاجا سودويا غامضا. وعلي غرار هذا التفسير يطرح آخر رؤيا مشابهة فيعزو تردد هاملت الي داء العصر الجديد والشعور بالتمزق ينتاب الشاب كروح الهزيمة التي سادت ما بعد الحرب العالمية 1918 واحساس الشباب بالبعث .ويرى "فسلون نايت أن روح هاملت مريضة وان العالم بنظره سجن كبير مليء بالقذارة وهو هاملت .رجل مسلوب الارادة واهن العزيمة يعاني من السوداوية

ويطرح كل من" فرويد وارنست جونز " تفسيرا قائما علي عقدة اوديب ، فارنست جونس يعتقد ان "هاملت كان من خلال حياة ابيه مرتبطة بامه .وطفل يحبها حبا اثما لا يقره مجتمع ، فكان يغار من ابيه وشعر بالاثم شعورا عميقا وكانت النتيجة تغطيه مصطنعة تبدو في اعجاب شديد بصفات ابيه.ولما قتل ابوه احس لا شعوريا بفرح اذ تخلص من منا فسه العتيد " وهذا ما يفسر راي فرويد حين قال:"بان العمل الدبي موقعا اثريا ذا طبقات من الدلالات متراكم بعضها فوفق بعض،ولا بد من الحفر فيها للكشف عن غوامضه واسراره."[39]و نختم هذه التفسيرات بالرلي التالي لفرويد :"ماهي اهداف اسباب ا التردد؟ ذلك

---

1): رشوان عبد الله ،الفرات،يومية سياسية،مؤسسة الوحدة،2007.

2): قاسم حسين صالح،هاملت شكسبير ،تحليل شخصيته وتردده.الحوار المتمدن،العد 1885. 2007.

1): ابراهيم محمود خليل، النقد الادبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك.دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،ط 1. عمان،الاردن،2003.ص 56.

مالا ينبس النص بحرف عنه، وبذلت في تفسيره محاولات لا تحصى فما اتت بطائل انه يستطيع ان ياتي كل شيء الا ان يثار من الرجل الالذي ازاح اباه واحتل مكانه عند امه .الرجل الي يريه اذن رغباته الطفيلية وقد تحققت.

اذ يقول فرويد في ذلك" اترجم في عبارة شعوريةى ماكان مقدرا بقائه لا شعوريا في نفس البطل، فاذا ارا البعض ان يدعو هاملت هستيريا ، لم اجد الا ان اسلمن بان تلك النتيجة تخرج من تفسيري ويتسق فذلك احسن الاتساق ، ما يعرب عنه هاملت مع اوليفيا من نفور الي الحياة الجنسية " .وهذا النفور اللذي كان مقدرا ان يزيد علي الدوام تمكنا من نفس الشاعر من مستانف سنواته حتي بلغ التعبير عنه اقساه في " تيمون الاثني "

من الجوانب المهمة في شخصية هاملت واللتي ارتكز عليها فرويد في تحليله هو الجانب الطفولي .وهذا صحيح حيث ان القاريء للمسرحية يلحظ جوانب الطفولة لدى هاملت وهذا شيء لم نعتد عليه في شخصية شكسبير اخرى ، راى فرويد بوجود علاقة بين هاملت وحياة شكسبير النفسية ويشير الي ان شكسبير كتب هذه المسرحية بعد وفاة ابنه كما اشرنا سابقا أي حين كانت وطاة الحزن شديدة عليه ، وحين بعثت في نفسه من جديد مشاعره الطفولية نحو والده.

علي اية حال كان يعتمد فرويد في تحليله على ميل هاملت الي التمويه في كلامه واعتماده على نشاط لغوي غير سوي بغية الوصول الي هدفه .وننوه هنا الي ان شكسبير كان دائما بعيدا يعمد الي اسلوب اللعب في الكلمات .بحيث يمكن ان نفهم باكر من معنى ويعتمد فرويد علي تركيبة هاملت النفسية التي تنغلق امام تعابير واضحة وتعاني من عذاب داخلي مميت .فهي بالتالي تركيبة معقدة تتمزق بين رغبة قتل العم واستعادة سورة الطفولة المتماهية مع الاب وامتلاكه للام فنراه مع حبيبته اوفيليا وهو يعامله بعفة شديدة بل انه طلب منها الذهاب الي الدير . فمة تفسيرات عديدة بشان تردد هاملت "منها معقول علي سبيل المثال يمكن المجادلة بان عنده وازع اخلاقي عميق فيما يخص الانتقام ، وبشكل اختياري فرض ان هاملت لديه بالفطرة طبع التامل ، أي انه يميل للفكر اكثر من الفعل. الاحتمال الثالث هو انه سوداوي بطبيعته " .يعاني منافكار مشتتة علي الانتحار وافكار سوداء عن الخبث الانساني وكل هذا جعله عاجزا ومنعه من الفعل .

لذلك اعنقد فرويد ان أسطورة اوديب تعبر ببصيرة ثاقبة عن مرحلة مهمة من التطور النفسي للمخلوقات البشرية " لقد اقترح ان كل الأولاد يمرون بمرحلة في طفولتهم يرغبون فيها قتل ابائهم والزواج من امهاتهم .هذه الرغبة لا واعية لكن تاثيرها ليس اقل واقعيا .انها تميز مرحلة مبتكرة في تطور الطفل البلوغ الجنسي ."[40]

ان صلة نظرية فرويد عن عقدة اوديب بهاملت واضحة بشكل جديد ، فرويد نفسه كان اول من اشار اليها (شخصيات سيبوكاثية)مريضة نفسيا ، يجادل فرويد بان هاملت مثل كل الذكور البالغين يجب ان يكون قد ملر بالمرحلة الاوديبية ولكن ازمته حدثت في حياته ، وجعلت رغباته المكبوتة تطفو ثانبة علي السطح، هي التي ابطات كليا قدرته عن الفعل وهاملت غير واع لهذا الصراع الضار داخل نفسه لكنه يكشف عن وجوده للجمهور من خلال اعراض معينة في سلوكه ولغته

في عمله المشهور"هاملت واوديب"(1949)يطور ارنست جونس تناول فرويد المختصر للمسرحية.يضمن فيه ان هاملت كبت مشاعره الاوديبية في فترة بلوغه بنجاح بللغ حتي ان اعجابه وحبه لوالده كان اكثر بروزا في عواطفه .

2 – تطبيقه علي ليوناردو ديفلنشي ودوسدويفسكي :

اما دراسته التحليلية عن ليوناردو ديفنشي فهي ،" اعادة بناء يكاد يكون معجزا لحياة فنان وفكره، فنان معقد مات قبل اربعة مائة سنة .ولكنها دراسة لحالة مرضية كان لناحية الجنسية فيها اثره الاعظم"[41] وفي بداية دراسته حول فن ليوناردو ديفانشي وحيلته المعنوية " دراسة في السيكولوجية الجنسية" يقول لناسيغموند فرويد انه حينما يتناول منهج التحليل النفسي اللذي يكتفي عادة بالمادة الانسانية الضعيفة –

---

1): حسين علي فا يد،المشكلات النفسية الاجتماعية..مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.ط 2002.1.،ص56.

2): احمد حيدوش الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ص 17

الشخصيات العظيمة في تاريخ البشرية، فانه في الحقيقة لا يكون مدفوعا الي ذلك بفعل الدوافع اللتي اعتاد عوام الناس ان ينسبوها اليه.فهو ابدا لا يعمل علي تدنيس ما هو نقي او الي جر ماهو سام الي الوحول،ذلك لان منهج التحليا النفسي لا يجد اشباعا له في هدم المسافة بين كمال العظماء وتفاهة الأشياء العادية لكنه في المقابل لا يجد مندوحة من اكتشاف أي شيء يستحق الفهم يكون قابلا للادراك بين تلك النماذج كما انه يؤمن كذلك بان ما من احد هو من العظمة حيث يخجله ان يكون موضوعا للقوانين التي تحكم الافعال السوية والافعال المعتدلة بالدقة نفسها ...وما يقوله فرويد هنا عن ديفانشي، ان مجهودا لكتابة ترجمة حياة اذا ما سعى حقا النقاد الي فهم الحياة النفسية لبطلها لا ينبغي كما يحدث في اغلب التراجم بسبب التصرف او التنميق ، ان يمر في صمت بالنشاط الجنسي او الخواص الجنسية لشخص موضوع البحث.وما نعرفه عن هذه الخواص في ليوناردو ديفنشي قليل جدا ، لكنه غزير الدلالة , ومنها حلم رآه وهو لا يزال صغيرا من ان نسرا ضرب فمه بذيله ، وما دون عن وفاة والده، وما كتب او رسم عن الطيران.اي كل ما دونه في نفسه عن امور تتعلق بشخصياته وباحداث حياته، وما كتب عن امور غير شخصية كرسالة المقارنة بين فن التصوير وفن النحت، ورؤيته للعلاقة بين الحب والمعرفة وما كتبه عنه بعض المؤرخين من انه كان مهتما بعقد علاقات جنسية مع بعض الشبان دون اثبات التهمة .وكذلك ما عرف عنه بانه قلم يكمل لوحاته، وانه لم تدخل حياته امراة قط باستثناء امه، ثم ذلك اللغز المحير الذي يتراءى في لوحاته التي يمكن ان تعد مكتملة مثل رؤوس النساء الظاحكات وموناليزا ، واعظم لوحاته والقديسة هان ، وفيها جميعا ترسم ابتسامة مبهمة تكشف عن عظمة العبقرية اللتي استوحتها.

ومن خلال هذه المعلومات والاحداث اعاد فرويد بناء حياة ليوناردو ديفانشي النفسية وتطورها مؤكدا مدى تاثيرها في سلوك ذا الفنانة واعماله الفنية، ولكنه يرفض ان تكون هذه الاحداث قد جعلت منه مريضا كاي مريض نفسي "اننا اذ نتبع الاشارات الطفيفة في شخصية ليوناردو ، يمكننا ان نضعه قريبا من ذلك النمط العصابي الذي وصفناه انه (النمط القهري) ويمكننا ان نقارن بحه بالهوس الفكري)عند العصابيين ، وان نقارن انواع الكف عنده بما يسمى(التشتت) عند العصابيين"[42].فبحثه هذا ليس الا تفسيرا لحياته الجنسية ، وفي نشاطه الفني الذي يرى ان مرده الي الظروف العرضية لطفولته التي ادت الي احاث اظطراب نفسي بعيد المدى، فلقد كان ليوناردو قادر على ان يمارس حياة الزهد.وان يعطي انطباع شخص فاقد القدرة الجنسية.

ونظرا لايثاره المبكر للفضول الجنسي فان الجزء الاكبر من حاجاته الجنسية قد امكن اعلاؤه الى تعطش عام الى المعرفة ،وهكذا افلت من الكبت واتجه جزء ضئيل جدا الى الليبيدو الى الاعراض الجنسية ونتيجة لكبت حب الام اتخذ هذا الجزء التجاها جنسيا مثليا ،فتمثل في حب مثالي للغلمان ،"وبهذه الطريقة شارك الكبت والتشتت والاعلاء في تنظيم انواع العون التي قدمها الباعث الجنسي لحياة ليوناردو النفسية"[43].وهكذا سيطر ماضي طفولته على حياته النفسية ومن اهم احداث طفولته ادراكه ولادته الاشرعية وتدليل امه له،فهذان الحدثان قد احدثا تاثيرا حاسما في تكوين شخصيته ومصيره النهائي.

ويظهر اكبر تاثير لهذه الاحداث في حياته الفنية،لان ما يخلقه الفنان على ما يرى فرويد،يعطي متنفسا ايضا لرغبته الجنسية .ان فرويد يلح على الرابط النفسي بين خبرات الطفولة المنسية والانتاج الفني على امتداد صفحات دراسته عن ليوناردو ديفانشي.

2. تطبيقه على دوستويفسكي :

وما يقوله فرويد هنا عن ديفانشي ينطبق في الحقيقة ايضا على مبدع اخر هو في مجاله ،يضاهي ديفانشي ومكانته في فن الرسم ،كما انه يحمل في طياته حياته من العناصر ما يسهل على الباح ان يدرس تلك الحياة،وما امتلات به من ابداع.ونفى هذا دستويفسكي الكاتب الروائي الروسي العظيم ،الذي طالما اغرى الباحثين والنقاد.ففي الواقع يمكن لنا ان دائما ان نكشف حياة دوستوفسكي و كتاباته ، كانت من الاتصال فيما بينها الى درجة مذهلة .وطبعا ما كان في امكان محلل سايكولوجي عظيم من طينة فرويد ، ان يمر

---

1): احمد حيدوش الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث.المرجع السابق .ص18 .

1): احمد حيدوش ن الاتجاه النفسي للنقد العربي الحديث ، المرجع نفسه ، ص19.

بذلك كله مرور الكرام .منذ البداية يقول لنا فرويد في نصه الذي كتب عام 1929 اننا يمكن ان نميز في شخصية دوستوفسكي الفنية بين اربع سمات : الفنان المبدع ، رجل الاخلاق ، انسان عصابي ن و الاثم .ثم يسال فرويد عن الكيفية التي سيستطيع بها المرء ان يجد طريقة وسط هذا التعقيد المحير ؟ هنا يفيدنا فرويد ان : الفنان المبدع في دوستوفسكي هو اقل سماته مبعاة للشك ، لان مكانته لا تبعد كثيرا عن مكانة شكسبير .

و في رواية " الاخوة كرامازوف " و كذلك " المقامر " يؤكد فرويد ان تفسير العبقرية الفنية ليست من مهمات هذا اللون من الدراسات ، فعل التحليل النفسي للاسف ان يلقي باسلحته امام مشكلة الفنان الخالق " [44]مؤكدا كذلك عصاب دوستوفسكي من خلال تحليل مواقف الكراهية و الحب عند ابيه و كبتها تحت تاثير التهديد التي يرى انها : " مفتاح كل انواع العصاب " و لقد كان دوستوفسكي يسمي نفسه مصروعا .و كان الناس يعيبونه كذلك لنوبته الحادة التي كانت تاتي مصحوبة بفقدان الشعور ، و ما ذلك الا عرض من اعراض عصابه ، وينبغي ان يشخص تبعا لذلك بانه صرع هيستيري ، الى جانب ما كشفت عنه نشر كتابات دوستوفسكي بعد وفاته ونشر يوميات زوجته حول المرحلة التي قضاها في المانيا .حينما كان مدفوعا في هوس المقامرة .ذلك الحدث الذي لا يستطيع احد الا ان يعده نوبة من الهوس المرضي لا يمكن ان يخطئها الادراك و هكذا يربط فرويد بين مظاهر شتى من الحياة النفسية عند دوستوفسكي و لا سيما الماضية منها و اثاره الفنية .ان دراسته عن دوستوفسكي جمعت بين منهجين :

1- استعان باخباره لفهم شخصيته .

2- كما استعان بتحليل فنه لفهم نفسيته

ستجد اننا لو عدنا للنموذج التوصيلي الذي يفهم العملية الأدبية باعتبارها مجموعة علاقات متشابكة بين ثلاث أطراف : المرسل ، المرسل إليه و الرسالة . يمكننا أن نعتبر أن التحليل النفسي للادب انطلق ابتداءا من العناية بالمرسل أي المبدع الادبي ذاته و الربط بين انتاجه من ناحية و بين تاريخه الشخصي من ناحية اخرى .و هذا التاريخ الشخصي الذي يتمثل في مجموعة الخبرات المتلاكمة لديه منذ سن الطفولة الباكر " و اذا ما كان هذا الانسان فيما بعد شاعرا ، اصبح محكوما بجملة تجاربه الطفولية تلك ، واصبحت هي التي تمثل الجذر الاساسي لابداعه و المرجعية الحقيقية لما يستخدمه من رموز " [45] و لما يوظفه بعد ذلك من ادوات الابداع الادبي يرتبط بالنظر الى العلاقة بين العالم الباطني و الى الابداع الادبي .

ان مراحل الطفولة التي يعيشها أي انسان كان هي التي توجهه مستقبلا نحو المجال المحدد ، بمعنى ان التجارب و المواقف التي خاضها اثناء طفولته ، و الراسخة في ذاكرته هي التي تعكس باطنه الابداعي .اما فيما يتناول الحقائق فهو دائما يتهرب منها أي من واقعه ، لانه كما ذكرنا انفا انه لا يجد فيه المساحة الشاسعة التي يتحرك فيها بحرية و انطلاقة مميزة لسد حاجاته النفسية المتجلية في فنونه الادبية .و عله اثبتت العديد من الدراسات ان " هناك عدد كبير من الدراسات تقرن بين العبقرية و الحزن ،فنرى ان الابداع في جوهره انما هو مظهر من مظاهر وصول التوتر في نفس المبدع الى ذروته و عدم قدرته على التكيف ، كما ان الفنان عنده انسان عصابي*. أقرب إلى الجنون لحظة العملية الإبداعية و بعد الفروع منها ، فهو إنسان عادي سمي في كامل وعيه .

و من هنا يختلف الفنان عن العصابي الحقيقي فهو يستطيع تخفي عتبة اللاشعور ، و الإفلات من رقابة الأنا الأعلى محققا رغباته ، و مكبوتاته بوسائل فنية خاصة . و هو بعد ذلك إنسان عادي سوي ، و هذا ما لا يستطيع الإنسان العصبي غير الفنان .

و كان ربط الإبداع الأدبي بهذه الظواهر المرضية ، إيذانا باعتبار المبدع إحدى حالات الشذوذ التي يمكن عن طريق تحليلها الكشف عن الحالات السوية الأخرى ، و لم يكن ذلك يقلق منهج فرويد و تلاميذه في التحليل ، " لأن نقطة ارتكازهم ، و بؤرة اهتمامهم تتمثل في الدرجة الأولى في الكشف عن طلقات الشخصية ، و الكشف عن حالاتها المختلفة و تحليلها و التوسل لكل ذلك لعلاج ما يصورها من أمراض أو

---

2): المرجع نفسه ، ص 19 .

1): صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ، المرجع السابق ، ص 67 .

حالات شاذة "[46]. أما فيما يخص الأحلام ، فيرى فرويد" أنها وسيلة من وسائل إشباع الرغبات التي قد تكون عصية التحقيق في الواقع . " و لكنه عدل هذه الفكرة حين اكتشف ما يسمى بحالات " عصاب الصدمة " "[47]. و هي الحالات المؤلمة التي تعتور المريض، فيعود في أحلامه التي تذكر الموقف المؤلم الذي حدث له في الواقع من ثم يصبح هذا الحلم صعب التفسير لأنه ينافي " مبدأ اللذة . أي مبدأ التمتع و استشعار التلذذ النفسي للأدب .

إن جهد فرويد و تأثير اكتشافه غير قابلين للتقدير و القياس ، فحركة التحليل النفسي منذ بداياتها أثبتت أنه من السهل اختراق أسرار العصابي (.Neuvrose) في مجابهة الأحكام المسبقة و المفحمة في التكتلات العلمية و الاجتماعية ." فرقابة الإيديولوجية كانت تتسم بالفاعلية و التصلب أكثر من كبت داخل الفرد :ضغوط العائلة الدين ، ثقل المجتمع التجربة العقل السليم ، نحن ضحايا كل هذا لكن في الوقت نفسه نحن مستفيدون منه"[48]بمعناه ان كل هذه الامور سلاح ذو حدين تاثر علينا ايجابا و سلبا .

و قبل أن نعرض لبقية رواد هذه المدرسة النفسية الذين يعدون تلاميذ لهذا العملاق المؤسس يجدر بنا القول أنه على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها هذا العالم في تحليل طبيعة الإبداع الفني ،فإنه لم يصل إلى حل حاسم لها ، و صرح أن وسائل التحليل النفسي عاجزة عن فك مغالق العملية الإبداعية إنه لم يصل إلى حقيقة العمل الفني الإبداعي و كل ما توصل إليه لا يتعدى بعض المظاهر و الحدود. و من هنا أشار فرويد في أكثر من مناسبة إلى أن" الأدباء و الفنانين و الشعراء هم و حدهم أدرى بأسرار النفس الإنسانية و إليهم يرجع الفضل في اكتشاف اللاوعي و على علماء النفس و الطب النفسي الإفادة من مكنونات الأعمال الأدبية و الفنية"[49]. بمعنى أن الفنان و الشاعر ذوا إحساس مرهف له العلاقة كل العلاقة بنفسية الإنسان أو بالأخرى الكائن الحي العاقل.

آدلر (1870- 1937) :

من الطبيعي أن يخالف التلميذ أستاذه أحيانا أو ينشق عنه ، أو يضيف شيئا من اجتهاداته و اكتشافاته ، فهذا الفرد آدلر : صاحب مدرسة **علم النفس الفردي** ، يخالف أستاذ "فرويد" في أن تكون الغريزة الجنسية السبب الوحيد للظهور الأمراض العصبية و الباعث الأول على الفن و يرى أن الشعور بالنقص هو السبب الرئيسي في نشأة العصاب. "فنظريته المسماة ب: " عقدة النقص" هي فكرة سبقه إليها الجاحظ حيث قال : " لا يتزيد أحد إلا لنقص فيه"[50]. فمكنت هذه النظرية الجديدة الناقد النفسي من الغوص في النص بحثا عن صور التعويض للنقص.

ولعل الشيء الذي يميز نظرية آدلر إلى جانب هذا الباحث هو اهتمامه بالجانب الاجتماعي،"فالدوافع اللاشعورية في تصوره لا يمكن أن نقدم بمفردها فهما مكملا للطبيعة البشرية . إذ لا بد من تفاعل عالم الشخصية الباطني بالعلاقات الشيئية الموضوعية، و بخاصة العلاقات الاجتماعية. لأن الفرد في نظره ليس كائنا معزولا عن وسطه الاجتماعي يتصرف بما تمليه عليه نزوعه الفردي و دوافعه اللاشعورية"[51]. على أن آدلر مع هذا لم يتعمق السياق الاجتماعي بتناقضاته و بقي عنده محصورا في غريزة حب السيطرة و الظهور و التعويض و الرغبات اللاشعورية و الطابع البيولوجي الوراثي و من هنا لم يحدث اهتمامه بالجانب الاجتماعي انقلابا في حركة التحليل النفسي ، "هذا العالم لم يستطع أن يبلغ ما يلقه فرويد بنظريته ، فقال ستانلي هايمن بشأنه إذا إستثينا اصطلاح " مركب النقص " الذي ابتكره آدلر و هو اصطلاح قد عم ، و طم، لم نجد نسبيا لهذا العالم النفسي إلا أثرا أدبيا قليلا و لكن لا بد أن نقر بأنه تكاد كل القصص التي تتعلق بالأنا أو دوافع القوة و التعويض ، افترقت لا شعوريا نسبيا من سيكولوجية آدلر

---

1): المرجع السابق ، ص 67 – 68 .
2): زين الدين المختاري ن سايكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد ، المرجع السابق ، ص 11 .
3): انظر:جان بلامان نويل،التحليل النفسي والأدب،ص 14.
4): زين الدين المختاري،سيكلوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد،ص 13.
1): احمد رحماني ،نظريات النقد النفسي وتطبيقاتها، المرجع السابق .ص 107.
2): زين الدين المختاري،سيكلوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد ص14.

الفردية "[52]. و ممن طبق هذه النظرية في النقد العربي ،الأستاذ المازني الذي يرى أن بشار قد أكثر من الحديث عن العمى و عن الموالى فعقدته أنه كان يشعر بالنقص من ناحيتين :

1- أنه كفيف. 2- و أنه من الموالي فلا يزال من أجل هذا يحاول أن يعوضه. معناه أن الأستاذ المازني رأى صحة النظريات النفسية الخاصة و المتعلقة بالأدب مثل ذلك نظرية " أدلر" التي رأت أن المبدع لا يستطيع أن تجرد نفسيته من كل العواطف و الاضطرابات و العقد و الدليل على ذلك هو الشاعر بشار الذي عانى كثيرا في وقت مضى من العمى و هذا الأخير بدل نفسيته محطمة و مجسدة لأي قارئ كان من خلال كتاباته و دواوينه ، فهو كثير الحديث أو على الأقل كثير التلميح لتلك العاهة التي لازمته و ما جرته إليه من معاناة حياتية و التي انعكست بطريقة بديعية في نفسه و ما تحمله هذه النفس من مكبوتات .فكتب مقالا بعنوان العلاقة بين التحليل النفسي و الفن الشعري نشرة في كتابة :" إسهامات في علم النفس التحليلي ".و الناقد النفسي الجماعي عند يقنع يبحث عن النماذج العليا في الأدب أو الفن ، على حد سواء ويقارن بينها و بين العمل الذي بين يديه لأي أديب أو فنان.

3- يونغ: 1877-1961 :

وهذا كارل غوستاف يونغ يرى أن أيضا أستاذة فرويد غالى كثيرا في إعطاء هذه الأهمية الكبيرة للغريزة الجنسية ، حين عدها بسبب نشأة العصاب عند الفنانين."و الحق أنه يوافق أستاذة على مبدأ اللاشعور بوصفه مظهر من مظاهر الفن و يسميه اللاشعور الفردي او الخافية الخاصة و لكنه يظيف نوعا اخر يسميه الاشعور الجمعي او الخافية العامة . و يعده المنبع الأساسي للأعمال الأدبية و الفنية ، و البوتقة التي تنصهر فيها كل النماذج البدائية و الروائية القديمة و التراكمات الموروثة و الأفكار الأولى"[53] . و بمرور الزمن ازداد التأثير النفسي في الواقع النقدي بظهور نظريته المتعلقة باللاوعي الجماعي و الفرق بين اللاشعور الفردي عند فرويد.

و اللاشعور الجماعي عند يونغ هو أنه أقوى من اللاشعور الفردي الذي يحتفظ بما ورثه الإنسان عن الجنس البشري جميعه . و من ثم فإن الفن ليس هو العقد الناجمة عن العقد الجنسية كما قال فرويد و إنما هو الأحلام الناشئة عن رواسب نفسية للتجارب الإنسانية البدائية متمثلة في الأساطير و ما أسماه " النماذج العليا" الموروثة في الأذهان و المنبثقة في الفن بطريقة تلقائية .لذا نجده قد اهتم كأستاذه فرويد بالتحليل النفسي للأدب.

شارل بودوان :

حاول هذا الباحث الإفادة من أخطاء الفرويديين في دراساته فذهب مذهب يختلف قليلا عن منهجهم في المعالجة ." فالفرويديون يرون العمل الأدبي أو الفني وثيقة نفسية صالحة لسبر أغوار الأديب النفسية و تحليل أمراض العصابية أي أن هدفهم من هذا العمل . إثبات صدق النظرية السيكولوجية و ليس التحليل الأدبي أو النقدي"[54]. و على العكس من ذلك فإن التحليل النفس عند بوابون تحليل نفسي أدبي . و شرح و تقويم من خلال الحقائق النفسية ، و المتابعة الدقيقة لمكونات العمل الأدبي و المعطيات البيوغرافية للأديب أو الفنان . و هم بهذه الطريقة يريد أن يعيد بناء التراكيب الأساسية الكامنة وراء النص الأدبي.

سانت بيف: 1804-1868 :

المعروف بصانع الصور ونحات العظماء، و يقوم منهج هذا الناقد الشاعر على تصوير الشخصية من الخارج و الداخل و ذكر كل ما هب و دب عن حياتها الخاصة و العامة . مولدها و نشأتها و ترتيبها و معيشتها و أسرارها و أقاربها و أصدقائها ووضعها الاجتماعي و المادي و أعمالها و مؤلفاتها و عاداتها و كل ما يتصل بحالاتها النفسية و علاماتها الجسدية.

---

3): احمد رحماني،نظريات النقد النفسي وتطبيقاتها ص107.

1): زين الدين المختاري،سيكلوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد ، المرجع السابق ، ص14.

2): زين الدين المختاري،سيكلوجية الصورة الشعرية ص16

و في الحقيقة لا يمكن للعمل الأدبي وحده أن يفي بهذه المطالب و المواصفات كلها. إذ لا بد من الاستعانة ببعض الأخبار من الوثائق و السجلات، و قد يكون هذا ميسورا بالنسبة إلى شخصية حديثة العهد. أما الشخصية القديمة التي لم يحتفظ لنا التاريخ بأخبار كافية عن حياتها، فليس أمام الناقد سوى أعمالها و مؤلفاتها. فلا بد في هذه الحال من الركون إلى الاجتهاد بالاعتماد على الحدس و التأويل و الترجيح.معنى هذا أن صنع بيف يختلف كل الإختلاف عن صنيع الفرويدبين فهو بدراسة حياة الأديب لا يقف عند الحدود النفسية و إنما يتجاوزها إلى خلق عمل أديب ثان يسميه" السيرة الأدبية " أو " التاريخ الطبيعي " و هو بهذا يريد إيفا أن يكون النقد خلق و ابتكارا مستمرين. و لا شك
النقد خلق و ابتكارا مستمرين. و لا شك فيه أن لهذا الإغراق في استقصاء حياة العباقرة و العظماء أثر سلبيا في النقد الأدبي لأنه ينحرف به عن وجهته الصحيحة التي هي دراسة العمل الأدبي ة تقويه من الأحسن أن يدرس هذا النوع في مجاله الخاص به . و هو مجال " السيرة " أو "البيوغرافيا".

أهمية التحليل النفسي بالنسبة للنقد الأدبي :

تكمن أهمية علم النفس و التحليل النفسي بالنسبة للنقد الأدبي و الأدب في أنه مظلة واسعة تندرج تحتها عدة مسارات هامة : النمو الإنساني و مراحله من الطفولة إلى سن الرشد و عملية التأويل و التحليل و كذلك فاعلية الاستشفاء و العلاج . و على الرغم من إمكانية فصل هذه المسارات على بعضها إلا أنها في النهاية تعود لتختلط بمفاهيم الجسد و العاطفة و العقل و تاريخ النمو و التجربة الشخصية. "و من ثم تشتك مثل هذه المفاهيم الشخصية الفردية بالإطار الثقافي و الاجتماعي "[55]، فمن منظور النمو تركز النظرية النفسانية على وصف تتابع أفعال النمو و مراحله كيف ينموا المرء في عملية المد و الجزر التقدم و الإعتاق ، و الكتب) خاصة فيما يتعقب بمراحل النمو الجنسي ، و كيف يبني المرء انساق نفسية و عاطفية تداخل مع علاقاته الأبوية (الأسرية) و الاجتماعية و الثقافية و إنسانا قد يقبلها أو يرفضها." و كيف يتفاعل مع البيئة العاطفية و المادية التي يسكنها و يعيش ضمنها ، فيعكسها أو يقاومها .

وهكذا لما نقتصر نظرية علم النفس على خصوصية بعواملها الإنسانية و المادية و الزمانية و لئن كان للتحليل الفرويدي أنصاره في النقد الحديث فهذا لا يعني أن التحليل النفسي الفرو يدي نفسه لم يتغير و يعيد النظر في مصطلحا ته و أطروحاته.بل إنه تعرض كغيره إلى ضغوط التوجهات الجديدة و تأثر بفرضيات إنتاج النص و استقباله و تغير مفاهيم اللغة و أهميتها و أساليب تقديم الشخصية و عرضها و ما إلى ذلك ، لكن بقيت الأرضية الفرويدية (اللاوعي) قائمة كمركز الاهتمام و فكرة اللاوعي تقدم على مقولة أن المرء يبني واقعه في علاقة أساسية مع رغباته المكبوتة و مخاوفه و لهذا فإن كل تعبير (سلوكا أو لغة أو خيالا) هو" مجموعة علاقات معتمدة تتوسط و تتدخل في كل ما يعتقد المرء أن يدخله أو يقوله أو يحلم به ، و الارعي يضرب جذوره في البني العاطفية و الجسدية للحياة الجنسية التي يفترض إشباعها أو كبتها كما لا ينبغي هذا التحليل النفسي لا يتواءم مع غيره من النظريات النقدية أو أنه يلغيها بل هو يصفي كثيرا منها خاصة أنه يتعامل و يهتم بتمثيل الذات و الأخر و الجسد و العواطف و العلاقات التي تحلم فعاليات السلوك و الخطاب"[56] أي طرق تحويل و ترجمة الرغبة و الحدث و التجربة إلى ذاكرة و إلى فعل لغوي

و لعل السمة التي لا يتجاوزها التحليل النفسي هي أنه النفسية و سيرتها الذاتية و تاريخ نموها و يصبح العمل تعبيرا على رغبة ما و محاولة إشباعها سواء كانت الرغبة ناتجة عن علاقة المرء بذاته أو بالبيئة أو العالم من حوله.

ومنها لكي من أمر التحليل النفسي و تعدد قضياه فإن فرضيات التقليدية و مازالت قائمة:

1. هناك دائما تفاعل بين حياة المؤلف او القاريء او المحلل النفسي و بين رغباته و احلامه و تخيلاته الواقعية و الغير الواقعية .
2. يسعى التحليل النفسي دائما الى الكشف عن اسباب و دوافع خفية عند الوؤلف او القاريء او المحلل .

---

1): أحمد رحماني،نظريات النقد النفيسي متطبيقاتها،المرجع السابق. ص 10.
1): أحمد محمد عبد الخالق،قياس الشخصية المرجع السابق.،ص 66.

3. معاملة الشخوص في العمل الفني على انهم اشخاص حقيقيون لهم دوافعهم الخفية و تواريخ طفولتهم المتميزة ، و عقولهم الواعية و الغير الواعية .

اذن فقد بات من الضروري التكاء على هذا المنهج لكي يستفاد من الماضي وادراك القيمة الحقيقية الحاضرة ."ونحسن فهم الماضي على ضوء هذه الحقيقة من خلال وعي الادب القائم على تفسيراته سولء كان في دلالته ام في العملية الابداعية بذاتها.والذات المبدعة المتعلقة بالانا الجمعي كما ذكر دستويفسكي في احدى مقالاته"عن نفسي اتحدث ليس من اجل نفسي .اني اعرف الاخرين والطبيعة منخلال نفسي واذ ما طرحت "الانا"فان هذه الانا ليست اناي الحياتية ،بل اناي الانتاجية الجماعية.التي هي في حقيقتها ذات ادبية لها خصالها وقضاياها.

لكن هل معنى ان علم النفس يستطيع ابداع او خلق نص ابداعي ادبي ؟.

عيوب التطبيقات النفسانية :

مما سبق يمكننا ان نسجل على التطبيقات النقدية النفسانية جملة من العيوب،نذكر منها:

1. الاهتمام بصاحب النص ذاته(الموضوع الحقيقي للفعل النقدي).
2. الربط بين النص ونفسية صاحبه ،مع الاهتمام المبالغ فيه بمنطقة "اللاوعي" التي مثلها الدكتور عبد القادر فيدح ب"العلبة السوداء"التي يجد فيها الباحث النفساني كل تفسير لاسرار العمل الادبي الابداعي.
3. التسوية بين لبنصوص الرديئة والجيدة ،وربما تفضيل الاولى على الثانية احيانا حين تكون اكثر تمثيل للفرضيات السيكلوجية.
4. الافراط في التفسير الجنسي للرموز الفنية .
5. التعسف في فرض التاويلات النفسانية على النصوص بغية تاكيد فرضية مسبقة.
6. الاهتمام بالمضمون النفسي للنص (سلةكات وعقد) على حساب الشكل الفني .

وفرويد نفسه يعترف بهذا العجز ويقر ان "التحليل النفسي ليس لديه ما يقوله عن ادبية الادب لان الكشف عن التقنية الفنية ليس من اهتماماته ولا من اختصاصاته"[57].فلا يمكن العتماد عليه كمرجع اساسي موثق،لان نتائجه تكون نسبية.

الفصل الثاني

قبل ان نذهب في رحلة حول عالم المعري الداخلي،لا بد لنا الا ان نتقصى سيرته الحياتية والادبية والتي تكشف لنا بدورها عن اغوار هذه النفس البشرية،التي سمت في دنيا الادب فكانت نجما ساطعا،ارتقى الى افلاك الحكمة،فكان فارسا لايجالرى ويراعا لا يبارى، حري بنا ان نعرفه.

اسمــه:

هو ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن احمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن انور بن اسحم بن ارقم بن النعمان الساطع الجمال ،ابن عدي بن عبد غطفان بن عمرو بن بريج بن خزيمة بن تيم اللات بن اسد بن وبرة ،بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التنوخي المعري.

---

1): يوسف وغليسي النقد النفساني،المرجع نفسه،ص231.

نسبه الى" تنوخ احدى قبائل اليمن،ولد بالمعرة " [58]يوم الجمعة في 27من ربيع الاول 366هـ،الموافق لسنة 973م.كره اسمه لانه راى من النفاق والكذب اشتقاق اسمه من الحمد،اذينبغي ان يشتق من الذم ،من مثل قوله :

واحمد سماني كبيري وقلما فعلت سوى ما استحق به الذما.[59]

كنيته:

ابو العلاء بالفتح والمد،الا ان الناس كانو ينطقون بها مقصورة في عصره كما قال:

والالف هان له امري فقصرني كما تهون على ذي المنطق الالف.

وقد نتبع على ابي الحسين النكتي البصري وهو من اصدقاء شيوخه في تسميته اياه محمد ا بدل احمد،و"ابا العلى" بدل "ابي العلاء"،تشنيعا يشوبه هزء واطال،وشمر اردانه للجدال والنضال مع ان الرجل كان يستحق العذر من جهة ان صنيعه هذا كان في الشعر،ولم يكن لقيه من الدهر الا مرة او مرتين فقال ووصف شعره بالخلو عن الزحافات والعلل وضرورات الشعر والقافية باسرها في عدة صفحات:"فكيف استجاز ان يقصر كنية صديقه : اما السمة في غيرها ،واما الكنية فقصرها فانا لله وانا اليه راجعون،هذا امر من الله ليس هو من ضعف الشاعر،ملا وهن القائل،ولكن من سوء لمن خوطب والاتفاق الرديء لمن سمي وذكر ،ولايقل سيدي الشيخ ادام الله عزه قد قصرت الشعراء قديمها ومولدها واولها السالف واخرها،وفصيحها الطبعي ومتكلفها،فانه كان استعمل ضرورة غير تلك لقبلت حجته،لكنه الغى الضرورات باسرها وفض العيوب فلم يستعملها وانما تغوثت من ذلك لاني قصير الهمة،قصير اليد ،مقصور النظر أي مكفوف،مقصور في البيت أي لازم له،فما كفاني ذلك مع قصر الجسم حتى يضاف اليه قصر الاسم.[60] كني بابي العلاء لانه من عادة الاباء في ذلك الزمان ان يكنوا اباءهم وقت تسميتهم،لكنه كره هذه الكنية ايضا وراى انه من الظلم ان يضاف الى التصعيد والعلو.وانما العدل ان يضاف الى السقوط والهبوط فقال:

دعيت ابا العلاء وذلك مين ولكن الصحيح ابو النزول.[61]

لقبه:

اما اللقب الذي اختاره لنفسه واحبه كثيرا رهين المحبسين،وقد لقب نفسه بهذا بعد رجوعه من بغداد واعتزاله الناس،واراد بالمحبسين:منزله الذي احتجب فيه،وذهاب بصره.الذي منعه من مشاهدة جمال الدنيا.

ولم يكتف- رحمه الله-بهذين السجنين فقد اضاف اليهما سجنا ثالثا،خاصة بعد نضوج افكاره الفلسفية،وهو سجن نفسه الطاهرة في جسده الخبيث على نحو ما جاء في شعره الذي يقول فيه:

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسال عن الخبر النبيث.

لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون نفسي في الجس الخبيث.[62]

قال صاحب النزهة والوفيات :وعمي من الجدري اول سنة سبع وستين غشي يمنى عينه بياض وذهبت اليسرى جملة .قال الحافظ السلفي:اخبرني ابو محمد عبد الله بن الوليد بن عزيب الايادي انه دخل مع عمه على ابي العلاء يزوره فراه قاعدا على سجادة لبد وهو شيخ قال:فدعا لي ومسح على راسي وكنت صبيا،قال وكاني انظر اليه الساعة والى عينيه احداهما نادرة والاخرى غائرة جدا ،وهو مجدر الوجه،نحيف الجسم ،وروى ابن العديم في العدل عن ابن منقذ انه راى ابا العلاء وهو صبي دون البلوغ،ووصفه بقوله:"هو دميم الخلقة مجدور الوجه ،على عينيه بياض من اثر الجدري ،كانه ينظر باحدى عينيه قليلا"[63]وورد ذكر الجدري في اللزوميات:

---

1): احمد حسن الزيات ،تاريخ الادب العربي،دار الثقافة .بيروت .لبنان ط 28.ص284.

2): ابو العلاء المعري،اللزوميات لشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء،ج2.منشورات محمد علي بيضون،بيروت لبنان،2001.ص 295.

1) : ابو العلاء المعري،ابي العلاء وما اليه،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان،2001.ص295.

2): أبو العلاء،اللزوميات،ج2.ص245.

3): المرجع نفسه،ص 127.

4) ابو العلاء المعري وما اليه،ابو العلاء،المرجع السابق،ص33.

اضر من جدري شان حامله بحمله جدري جاء من جدر.

وكان يقول:"لااعرف من الالوان الا الاحمر فاني البست في الجدري ثوبا مصبوغا بالاصفر لا اعقل غير ذلك".وكان قصيرا كما اعترف به في رسالته له ،وكما قال:

فلا اجدك رديئا في ذوي امم وكن نبيلا نع القوم التنابيل.

ونحيلا كما قال:

وذكيا: حكى الذهبي:انه اكل في مغارته دبسا فنقط على صدره منه ولم يشعر،فلما جلس لاقراء قال له بعض الطلبة:ياسيدي اكلت دبسا.فاسرع بيده الى صدره مسحه،فقال:نعم لعن الله النهم.فاستحسنوا سرعة فهمه.كما انه روي انه كان له سرير يجلس عليه،فجعلوا في غيبته تحت قوائمها اربع دراهم،تحت كل قائمة درهم.فقال:ان الارض قد ارتفعت عن مكانها شيئا يسيرا،او السماء نزلت.

وقال ابن العديم في العدل:انه كان متوقد الخاطر غاية من الذكاءمنذ صغره،وتحدث الناس بذلك،وهو اذ ذاك صبي يلعب مع الصبيان.فكان الناس ياتون اليه ليشاهدو ابا العلاء وينظروا ما يحكى عنه من الفطنة والذكاء.فوصلوا الى معرة النعمان وسالوا عنه.فقيل لهم:هو يلعب مع الصبيان،فجاؤوا اليه وسلموا عليه،فرد عليهم السلام .فقيل له:ان هؤلاءء من جماعة اكابر حلب.جاؤوا لينظروك ويمتحنوك،فقال لهم:هل لكم في المقاناة.* بالشعر.فقالوا نعم .فجعل كل واحد منهم ينشد بيتا ،وهو ينشده على قافيته حتى فرغ محفوظهم باجمعهم.وقهرهم فقال لهم:اعجزتم ان يعمل كل واحد منكم بيتا عند الحاجة اليه على القافية التي يريد؟فقالوا له:فافعل انت ذلك.قال.فجعل كلما انشد واحد منهم بيتا اجابه من نظمه على قافيته حتى قطعهم كلهم.فعجبوا منه وانصرفوا."[64]وهذا بعض ما جاء في عماه وذكاؤه.اما فيما يخص حفظه وواعيته فنقول:

ان العميان اصح الناس حفظا واوعاهم واذكاهم و اوعاهم .والسبب في ذلك عدم تشتت الباصرة في المغازي و المسالك ، وان كل قوة طبعية يزيد فيها الاعمال و ينقص منها الاهمال ، و العميان احوج من البصراء الى حفظ الاشياء .وقد روي في حفظهم اخبار و نوادر ، ناهيك بما الم به الصفدي منها في النكت و الغيث .

و السبب الذي نراه في قوة الحافظة في العميان ، ان ذهن الاعمى و فكره يجتمع عليه و لا يعود متشعبا بما يرى ، ونحن نرى الانسان اذا اراد ان يتذكر شيئا نسيه اغمض عينيه و فكر فيقع كل ما شرد من حافضته ، وفي المثل : احفظ من العميان .كان ابو العلاء ذكيا ذكاءا شديدا ، سريع الخاطر ، دقيق الحس حتى ليروي المصيصي الشاعر انه كان يلعب بالشطرنج و النرد." و روى الرواة ان ابا محمد الخفاجي الحلبي دخل عليه و سلم و لم يكن يعرفه ، فرد عليه السلام و قال : هذا رجل طوال ، ثم ساله عن صناعته فقال : اقرأ القران ، فقال : اقرأ علي شيئا منه ، فقرا عليه عشرا ، فقال له : انت ابو محمد الخفاجي الحلبي ؟ فقال : نعم ، فسال عن ذلك ، فقال : اما طوله فعرفته بالسلام ، واما كونه ابا محمد فعرفته بصحة قراءته و اداءه بنغمة اهل حلب ، فانني سمعت لحديثه . " [65] و ناتي الى اخبار رواها االثقات ومنها ما قاله ابن العديم في " العدل " قيل : انه املى في ديوانه لزوم ما لا يلزم في ليلة واحدة نحو الفي بيت .كان يسكت زمانا ثم يملي نحو خمسمائة بيت ، ثم يعود الى الفكرة و العمل .

شعر صباه :

قالوا : انه قال الشعر و هو ابن احدعشرة سنة او اثنتعشرة سنة الا ان جل شعر صباه في سن ما بين الثالث عشر و العشرين من عمره .ونظن ان قصيدتيه اللتين اولهما :

اليس الذي قاد الجياد مغذة روافل في ثوب النقع ذائل .

و اللتين في عنوانهما " قالها في الصبا "، انشأهما في هذا العمر فان لم يخلف الظن فقد اتى بفلقة من الفلق ، ودهانا ببنت طبق .حيث قال في الاولى :

---

1): ابو العلاء المعري وما اليه،ابي العلاء، ص32.

2): شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه ، دار المعارف ،ط 12 القاهرة 1933 ، ص 379 .

اذا الناس حلوا شعرهم بنشيدهم فدونك مني كل حسناء عاطل .
ومن كان يستدعي الجمال بحلية اضر به فقد فقد البرى و المراسل .

وهذا المعنى مما لا يستطيعه القرح و النيب ، فانى يكون لقريع منه نصيب غير انه كما قال :

واني و ان كنت الاخير زمانه لأت بما لم تستطعه الاوائل .

ومما يقوي ما ذهبنا اليه قول التبريزي في شرح السقط ، " انه كان يغير شعر صباه ، ويشهد له ما يوجد في عناوين بعض القصائد من لفظة " من قصيدة " و نرى ان ما خلا منها من المطلع المصرعة ايضا من هذا القبيل "[66] .ولم يات في عنوان رثائه لابيه اذ توفي و عمره خمسةعشر عاما شيء من ذكر الصبا ، فلعله قبل و بعد وفاته بمدة غير طويلة و لم يرد ذكر الصبا في اول قصيدة وكان قالها سنة 390 هـ .اذ كان اذن ابن (27) سبع و عشرون عاما الا شهرا .

فتلرة الشباب (او خمسة عشرة عاما و اشهر):

لعل رحلاته التي رحلها الى بلاد الشام اختارها بعد وفاة والده ، لانه صرح بنفسه انه لم يتعلم بعد العشرين .وكان الرأي له بعد مفارقته والده الرحيم و ادبه العميم ان يتعلل بلقاء الرجال ، و يتسلى بشد الرحال .فقضى اربه منها قبل سنة 383 هـ.ثم اقام بالمعرى في بيته يشتغل بالتعليم لبعض ابناء وطنه و سماء كتب النحو و العروض و الادب و اللغة و الاخبار من اصحابه يستكثر حضه من العلوم ، ويتقن معرفته بها تيك الفنون .ومن خلال ذلك كان يمرن خاطره و يروضه على قرض الشعر و انشاء الاسجاع ، و الترسل الى علماء الادب و امراء بلاده ووزراءها .وقد حفظ لنا التاريخ انه كان مدة هذه الفترة كلفا بالعلم ، مغرما به :

رضيعي لبان ثدي ام تقاسما بأسحم راج عوض لا نتفرق .

يحب منه الاستكثار و الاستاثار .و ربما ضاق درعا اذ لم يجد في انحاء بلاده و الاقطار .ما يروى غلة حران ، و ينقع غليل القلب بالرشفان ن فيحدث نفسه بمفارقة البلاد و المجال في الارض و المستزاد ، و ربما تسامى به قرونه المتشوقة الى رحلة بغداد كما قال :

كلفنا بالعراق و نحن شرخ هم نلمم فيها الا كهولا .
ان فسدت من زمن نية او ظهرت منه خبيات .
فالاعوجيات لنا عدة تقدمهن الارحبيات .

الا انه كان يعكس على عقبيه يتفكر في الشقة و متاع الرحلة وضيق ذات اليد ، و هجوم العلماء بها ما تغض بهم و يختنق منها المقلد ، الا انه كان يقنع نفسه و يخفض الكرام حينما يسبقه صيته اليها و سمعته الطائرة تتغلغل قبله بمسمعيها .

و في هذه المدة زاره ابو الحسن الدلفي في مدة ثلاثين سنة ن و توفي الثعالبي سنة 429هـ. و نرى ان جل شعر السقط غير ما قيل في الصبا " او في املر بغداد و الدرعيات و غير قليل من المقاطيع انشيء في خلالها .كقطعة ... و كان مات قبل اربعمائة كما في الجواهر المظيئة و رثاء ابي ابراهيم العلوي ، و قصيدته الى ابن حلبان الميمية ، و ما مدح به الامراء كسعيد الدولة ، و ابي الرضا الفصيصي "[67] و انشأه بطلب منه ، كما انه كتب من المعرى في خلالها الى خاله ابي طاهر و كان ببغداد يستنسخ له شرح الكتاب لابي سعيد الصرافي كما مر مع ايضاح مدحضة مزلة هوى فيها كثيرون .

تعلمه :

لما بلغ سن الدراسة تتلمذ على يد ابيه و شيوخ بلدته ، و هم من تلاميذ العلامة ابن خلاويه ، فاخذ عنهم اللغة و النحو و العروض .و قال الشعر في الحادية عشر من عمره ، ولم يقعد به العمى عن طلب العلم و الاكتفاء بما حصله في بلدته ، فطمحت نفسه الى الاستزادة .و تنقل في مدن الشام يسمع من علمائها ، و يختلف الى مكتباتها ، فاكتسب من ذلك ثقافة واسعة ، ومن المدن التي زارها ك حلب ، انطاكية ، اللاذقية ، طرابلس و الشام . و فيها اخذ عن العلماء المسلمين و المسيحيين من غير تعصب لان الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها اخذ بها .ثم رجع الى بلدته ليشتغل بالتدريس و نضم الشعر ثم تنقل ببغداد سنة

---

1): أبو العلاء المعري ، ابي العلاء وما اليه . المرجع نفسه ، ص 22.

1): ابو العلاء المعري ، ابو العلاء المعري و ما اليه ، المصدر السابق ، ص 68 .

398 هـ. ووجد خزائنها عامرة بكتب في شتى العلوم و الفنون حتى قال : " وجدت العلم ببغداد اكثر من الحصى عند جمرة العقبة " [68] غير ان اقاته فيها لم تدم اكثر من سنتين . و لقد عرف له اهل بغداد فضله و مكانته ، فكانوا يعرضون عليه اموالهم ، و يلحون عليه في قبولها ، و لكنه كان يابى متعففا .و يردها متانفا بالرغم من رفقة حاله و حاجته الشديدة الى المال ،و يقول في ذلك :

ان اعط بعض القوت اع لم ان ذلك فوق حقي .
لا اطلب الارزاق و المو لى يفيض علي من رزقي .

وكان برغم ذلك راضيا قانعا ن يحمد الله في السراء و الضراء ، و قد يرى في البلاء نعمة تستحق حمد الخالق عليه فيقول :

انا احمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر .

لم يطل المقام بابي العلاء في بغداد طويلا ، فشد رحاله بالعودة الى الوطن لوفاة امه ن و كان ابوه قد توفي قبلها ، فوجد عليها وجدا شديدا و رثاها لقصيدة تقطر لوعة و حزنا ، و تفيض بالوجد و الاسى يقول فيها :

لا بارك الله في الدنيا اذا انقطعت يبلغ روحها اوج السلام .
زكيا يسحب الكافور منه يمثل المسك مفضوض الختام .
سالت : متى اللقاء ؟ فقيل : حتى يقوم الهامدون من الرجام .*[69]
فليت اذين يوم الحشر نادى فاجهشت الرمام الى الرمام .

و لزم داره معتزلا الناس نحو اربعين عاما .الف خلالها الكتب الكثيرة التي رواها له ياقوت في معجمه ، و هي تدل على انه كان واسع الثقافات ، فهو يعرف الديانات و المعتقدات المختلفة كما يعرف الفلسفة و التنجيم و التاريخ و التصوف ، و ما يطوى في ذلك من ثقافات يونانية و فارسية و هندية .

آثـــاره :

و قد ترك ابو العلاء تراثا عضيما من الشعر و الادب و الفلسفة ، ظل موردا لا ينضب للدارسين و الباحثين على مر العصور ، وكان له اكبر الاثر في فكر و عقل كثير من المفكرين و الباحثين و العلماء و الادباء في شتى الانحاء ، و من اهم تلك الاثار :

الاثار الشعرية : " فينقسم شعر ابي العلاء الى قسمين : شعر الشباب ، و يجمعه سقط السند " و شعر الكهولة و قد وعته اللزوميات " [70] و اما ما قيل عنه (سقط الزند) سندرجه فيما يلي :

سقط الزند : استحق بان يوصف بحق انه خليفة المتنبي " قلد فيه المتنبي و استمد منه اكثر معانيه "[71] ، " فهو يعتد بالغريب و الشاذ في التراكيب ، كما يعتد بالتصنع لالفاظ الثقافات المختلفة و التغني بالفيافي و الحكم و الامثال و الفخر بنفسه و ذم الدهر و الشكوى منه على نحو ما راينا عند المتنبي "[72] كما أنه (يحمل البدايات الشجية لعزلة ابي العلاء ، و ثمة محور اخر يجمع كثير من قصائد سقط الزند ، و هو محور تمرد ابي العلاء على محنة بصره واستنكاره لما ستتبعه من نتائج سلبية تحدد حدود حركته الجاخلية والخارجية في الحياة".[73]فهو يحتج على خمول حياة العاجز:

الخمل والنباهة في لفظ وافتروا القناعة لي عتاد.
والفي الموت لم تخد المطايا بحاجاتي،ولم تجف الجياد*[74]

في العموم نقول ان سقط الزند يتضمن معظم انواع الاغراض الشعرية.مدح بعض القوم فيه، ورا البعض الاخر ،وعالج شعر الفخر ،وهنا احدهم بمولوده الاخر بزفافه،وبارك لثالث عودته سالما من السفر:

***2*):** ابو العلاء ، رسالة الغفران ، تقديم الطاهر منور موفم للنشر ، الجزائر 1989 ، ص 03 .
* الرجام : جمع الرجمة ، و هي القبر . اذين ، المؤذن .اجهشت اليه : فزع و قد تهيا للبكاء .
2): احمد حسن الزيات ، تاريخ الادب العربي ، ص 349 .
3): شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه ، دار المعارف ، القاهرة ن ط 1 ، 1993 ، ص 483.
4): شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1933، ص 481 .
1**):** كاميليا عبد الفتاح،الشعر العربي القديم،دار المطبوعات الجامعية،ص 92.

2*) تخد: مشيتها السريعة.وكذلك وجيف الجياد.

المديح:حازت قصائد المديح على القسط الاكبر من الديوان.
الفخر: يقول الدكتور طه حسين "ان سقط الزند ليس فيه من الفخر الشيء الكبير"[75]
الرثاء: فيما جاء في رثاء امه ووالده:

سمعت نعيها صما صمام وان قال العواذل لا همام.
وامتني الى الاحداث أم يعز علي ان سارت امامي.
مضت وقد اكتهلت فخلت اني رضيع ما بلغت مدى الفطام.

وفي رثاء والده:

فليتك في جفني موارى نزاهة بتلك السجايا عن حشاي وعن ضبني.
ولو حفروا في درة ما رضيتها لجسمك ابقاء عليه من الدفن.

فهو هنا لا يستعذب الدفن لوالده ،حتى ولو كان في الدرة،متمنا لو انه استطاع مواراته في جفنه.
الوصف: حرص على تقليد الناس فيما قالوه.
فخره بنفسه:

واني لو كنت الاخير زمانه لات بما لم تستطعه الاوائل.

وقوله:

الا في سبيل المجد ما انا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائل.

وأيضا:

ورائي امام والامام وراء اذ انا لم تكبرني الكبراء.

فالشاعر يفخر بنفسه بما كان عليه من شجاعة وكرم وذكاء.واما فخره بعائلته الكريمة فكثير لالنه متباه بها.فتحت علمها ولوائها تسير القوافي وهم جديرون بها على نحو ما يفهم من قوله:

بأي لسان ذامتني متجاهل علي وخفق الريح في ثناء.
تكلم بالقول المضلل حاسدي وكل كلام الحاسدين هراء.
اتمشي القوافي تحت غير ونحن على قواها امراء.
ولا تساوني عرض السموات بارق وليس له من قومنا خفراء.[76]

ضوء السقط : تفسير غريب سقط الزند.قال التبريزي:"كنت اراه يكره ان يقرا عليه شعره في صباه،وكان يغير الكلمة بعد الكلمة منه اذا قرئت عليه.ويقول معتذرا من تابيه وامتناعه عن سماع هذا الديوان :مدحت نفسي فيه فلا اشتهي ان اسمعه،وكانيحث على الشتغال بغيره من كتب ثم اتفق بعد مفارقتي اياه ان بعض اهل الادب ساله ان يشرح ما يشكل عليه ،فاملى عليه الى الدرعيات غير انه وقع فيه تقصير من جهة المستملي"[77].وذلك انما يستملي عن بعض الابيات منه واهمل اكثر المشكلات واذ استملى معنى بيت لم يتقص في البحث عن ايضاحه،فجاء التفسير كانه لممع من مواضع شتى لم يشف به الغليل.
وشعره كثير في كل فن وسل الناس على طبقات من شاعر مفلق وكاتب بليغ الى هذا الفن اكر ورغبتهم فيه اجدر.وهو اشبه بشعر اهل زمانه مما سواه لانه سلك فيه طريقه حبيب بن اوس وابي الطيب المتنبي،وهما في جزالة اللفظ وحسن المعن

3. الدرعيات: وهو ملحق لسقط الزند.هو ديوان صغير،يشمل على اشعار،وصفت فيها الدرع خاصة،اذ يتفنن الشاعر في تشبيه الدرع بالغدير مرة،وبعين الجراد مرة اخرى.وفي ذكر بلائها في تثليم السيوف وتحطيم الرماح ،وحياطة الذراعين .ولهجة الشاعر في هذا الديوان جاهلية ،واسلوبه بدوي. والدرعيات ديوان طبع ملحقا بسقط الزند.

3**):** ميسون محمود فخري العبهري،النقد الاجتماعي في لزوميات ابي العلاء المعري،جامعة النجاح الوطنية،كلية الدراسات العليا ،نابلس،فلسطين 2005،ص 24.
1): ميسون محمود فخري العبهري،النقد الاجتماعي في لزوميات المعري.المرجع السابق،ص 24.
2): ا بو العلاء وما اليه،ابي العلاء،المصدر السابق،ص 202.
3): شوقي ضيف الفن ومذاهبه،المرجع السابق،ص 381.

4. اللزوميات:وهو شعره الذي قاله في كهولته ،وقد أجاد فيه بشكل لم يبلغه احد بعدد،حتى بلغ نحو ثلاثة عشر إلف بيت."تتضمن نقدا للحياة الاجتماعية ما دعوه واسمه إلي الزهد والتقشف ورفض الدنيا"[7978] ..سبوره في ذلك كله تشاؤم واسع إذن فموضوع اللزوميات ليس جديدا وما نري فيها من تشاؤم ودعوة إليه الزهد في الحيلة وسرد للحكم والعظات ،إلا أن الجديد فيه ، وما يرتبط بالعنوان إلي باب" لزوم مالا يلزم"إذ نهج فيه نهجا جديدا"إذ رتبه علي حروف المعجم والتزم فيه بما لا يلزم الشاعر التزامه "[80]. شغل نفسه بعقد ولوازم غريبة ،يصلي نفسه الممرات إلي شعره ويتقيد بلوازم دائمة يتبعها في صناعته .ولعل أهم هذه اللوازم ما أشار إليه في مقدمة ديوانه إذ يقول " وقد تكلفت في بك التأليف ثلاث إلف الأولي انه ينتظم حروف المعجم عن أحرها ، والثانية انه يجي.....رويه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك، والثالثة انه لزم مع كل روي فيه بشيء لا يل...من باء أو تاء أو غير ذلك من حروف "[81]ونحن نلتفت من هذه الكلف الي أن اللزوميات ليست ديوانا بالمعني المألوف عند العرب ،ونهل ذلك ما جعل أبي العلاء سميها في مقدمته لها تأليفا ،وسماها مره أخري كتابا ،حقا أنها الفت على شكل التأليف والكتب،وقد قسمتالى الأبواب والفصول وهل هناك ديوان قبل اللزوميات نظمسعرا ووزع على هذا الطراز الى ابواب وفصول كما يصنع أصحاب النثر بكتبهم.

كما ان اللزوميات هو اخطر دواوينه شانا للأنهيمثل ادقناحية فيفلسفته العقلية التي تؤرخ لتطور افكاره "من الشك والحيرة اللاارادية،منالأيمان بالجبرية الى الضراعة لله والأستسلام لمشيئةه،من توكيده لارادته في ممارسته في الموت في الحياة،برفض الزواج متعة الحياة،من طعام ولباس،واعتزال الناس،من ارائه في اختلاف المذاهب والعقائد"[82]...وما اليه.

الفصول والغايات:

زاد ابن الجوزي وغيره في محاذاة"السور والايات"وقال الذهبي:"وكانه معارضة منه للسور والايات فقيل له:اين هذا من القران ؟فقال:لو تصقله المحاريب اربعمائة سنة وليست هذه الزيادة في الاسم في الثبت عندي ،فالظاهر انها من اعدائه الذين رموه بكل ما شاؤوا وان صحت فليس معناها المعارضة بل المحاذاة،عمل شيء على حذاء شيء كما عمل تضمين الاي وللشريف الرضي كتاب في محاذات الاثار النبوية .قهل يقال :انه عارض الحديث كما يقال ان ابا العلاء عارض القران؟"قيل انه بدا بهذا الكتاب قبل رحلته الى بغدهد واتمه بع عودته الى المعرة ،وهو سبع اجزاء .ولا جرم ان الناس ذموا الكتاب في كل زمان .ونقل ياقوت في ترجمة شيخه الوجيه ابن الدهان ،ان خازن دار الكتب برباط المامونية غسله وتبجح بصنيعه هذا بحضرته ،فخطاه الوجيه محتجا بانه ان كان خيرا من القران وحاش لله –ان يكون-فلا يجب ان يفرط في مثله وان كان دونه فتركه معجزة للقران .فاستحسن الناس قوله ،ووافقه الخازن على ذلك.

سيف الخطبة: جزآن ،يشتمل على خطب السنة .وكان ساله هذا الكتاب رجل من المتظاهرين باليانة،فصنفه له.

شرف السيف: عمل للرجل الذي كان مقيما بدمشق وهو المعروف"بنشتكين الدزيري"،وكان السبب في عمله انه كان يوجه الى ابي العلاء بالسلام ،ويخفي المسالة عنه فاراد جزاءه على فعل جزآن.

كتاب الصاهل والشاحج : يتكلم فيه على لسان فرس وبغل.مقداره اربعون كراسة.صنفه لابي شجاع فاتك المقلب بعزيز الدولة والي حلب من قبل المصريين ،وكان روميا .

عبث الوليد: وهوشرح ديوان البحتري ،وقد طبع في دمشق ،وقد راينا هذا الكتاب فاذا هو اصلاح نسخة بعث بها اليه بعض الرؤساء ،وفيه نقد لالفاظ جاء بها البحتري .ولابي العلاء في آخره تاويل طريف في

---

1): ابو العلاء ،رسالة الغفران، المصدر السابق،ص20.

2**):** شوقي ضيف ،الفن ومذاهبه،المرجع السابق ،ص 397.

3**):** عبد القادر محمود،رحلة الى الدار الاخرة مع المعري ودانتي،مركز الكتاب للنشر،ط 1، الاسكندرية 1997،ص 32-33.

اسم الكتاب .فانه:"اما العبث فظاهر،واما الوليد فيجوز ان يراد به البحتري لانه اسمه،ويجوز ان يراد به الناسخ ،لانه عبث بالكتاب"[83] .ولديه كتب كثيرة اخرى لاتقل اهمية عن آثاره السابقة.منها كذاك:

زجر النابح: يتعلق باللزوم،"وذلك ان بعض الجهال تكلم على ابيات منهيريد بها التشرر والاذيةفالزم ابا العلاء اصدقاؤه ان ينشيء هذا الكتاب فانشاه وهو كاره .جزء في اربعين كراسة ،قد يكون هو الرسالة التي بعث بها الى معز الدولة ابن صالح يشكو اليه رجلين كانا يؤلبان عليه وينسبانه الى تاكفر والالحاد"[84] .وكان هذان قد حرفا بيتا من بيت لزومياته ليثبتا عليه تهمةالكفر بذلك.

رسالة الملائكة:

رسالة الغفران:التي تفجرت عن رسالة ابن القارح،وكان القران هو الغاية والوسيلة.فان قصة الأساء والمعراج هي التي جسدت حديث الجنةوالنار.انها خزانة من المعلومات اللغوية والأدبية،قد وظفت بطريقة فنية جديدة.وقد املي بيانه " الغفران"وقد تجاوز الستين راى في مرحلة النضج والاكتمال العقلي ، ورواية الحقائق بعيدا عن التزبيق حقائق العالماللذي يعيش فيه،ورواية الإنسان اللذي في اركان هذا العللم والساسة والسياسة"الاطماع المشروعة،والاطماع الغير المشروعة .منتقدا فيها الشعراء والرواة والنقاد باسلوب روائي بديع .

معجز احمد: وهو شرح ديوان لأبي طيب المتنبي .

كتاب استغفر واستغفري :منظوم فيه حوالي 10الاف بيت .

كتاب الامالي :نحو100كراسة .

يقول القفطي:"ان اكثر كتب ابي العلاء هذه عدمت ،وانما يوجد منها خرج عند المعرة قبل هجم الكفار عليها ،وقتل من قتل من اهلها ونهبها وجد لهم".

شخصيته:

لا شك ان أبا العلاء في مقدمة من يصدق عليهم القول بأنهم خير من يقدمون أنفسهم في كل خطوة في رحلة الحياة ، وسجل اعترافاته شعرا ونثرا ،عن سيرة حياته ومعاناته إلي أن رحل عن الدنيا التي نفض يده وروحه منها.من البداية ، بعد ان سجل فلسفته في الحياة والموت بكل صدق وأمانة وإخلاص .

وقد اختلف الشعراء أنفسهم في توظيفهم لشخصية المعري ،فمنهم من أعطاه قيمة عظمى في تاريخ البشرية ،ومنهم من اسطرها واسند إليها صفات خارقة وسطر لها الملاحم الشعرية "ان اغلب شعراؤنا ينظرون الي المعري وكانه اله الفكر وتمثال الفن الذي يجب ان يعبد ، لهذا لم يوفق شعراءنا المعاصرون في استحضار شخصية المعري استحضارا فنيا راقي يعتمد علي الإسقاط والمحاورة التي تحرك شخصية المعري من جذورها وتبعه فيها نبض الحياة من جديد "[85]ذلك ان شخصية ابي المعرة ورهين المحبسين من اكثر الشخصيات الأدبية في تاريخ الأدب العربي اثارة وثراء ومنها في اللفظ والمعنى . ولقد أتاحت له سعة اطلاعه وحدة ذكائه ،وصفاء ذهنه ورحلاته بين أدباء زمانه ،هذا الي جانب ما تميزت به هذه الشخصية الادبية الفريدة من غرابة الأطوار كإعراض من الزواج وامتناعه عن أكل الحيوان المباح اعتمادا على نظرة فلسفية قد لا تتواءم وواقع الحياة الإنسانية .

الشخصية الإنسانية.كما يؤكد علماء النفس والإجماع ،"وحدة واحدة متكاملة لا يمكن تجزئتها الي وحدات بحيث نتصور وجود شخصية سياسية وأحزاب اقتصادية...انها الشخصية الكلية المتكاملة للفرد "[86] ،إضافة الي ان العربي بصفة خاصة يتصف بالانفعالية الشديدة." فكثير من سلوكياته يحكمها الانفعال بلا عقل وخاصة في الأزمات.وبسبب هذه الانفعالية فقد طور الانسان العربي اسلوبه في التخاطب يعتمد علي العبارات المجنحة نوالالفاظ التي يحتمل اكثر مما تستحق، وكثرة استخدام المفردات التي تؤدي الي

---

1): منير سلطان ،التضمين والتناص.وصف رسالة الغفران للعالم آخر.مطبعة عصام جابر.2003.ص111.

2): ابو العلاء المعري،ابي العلاء وما اليه،المرجع السابق ص207.

1): عصام شرتح،التراث العربي ،استدعاء شخصية المعري في الشعر العربي والمعاصر.ص245.

2): خلف عبد الله زينات،نقد الشخصية العربية،مجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان.الاردن،2001،ص 21.

المبالغة والتي لا تصف الواقع كما هو"[87]، وان جاز لنا القول يمكن اعتبار شخصية المعري تنتمي لهذا المجال ن غير اننا لانعدم لها بوجود في تراثه نثرا وشعرا من تصوير الواقع الذي عايشه آنذاك .فالانفعال في حد ذاته انعكاس للضعف وقلة الحيلة ،كما سيأتي فيما بعد فكلما يصدر عن الإنسان هو في نهاية المطاف مرآة تعكس نفس مبدعها من نتائج وارائه في احوال المجتمع .وهذه الاعمال نتاج سيكولوجي يعكس بناء صاحبها السيكولوجي .بما ان" العمل الفني كما يذهب فرويد "ينطوي علي لب او جوهر بشري عام يتم تطويعه وفقا لظروف الواقع الاجتماعي"[88] . وهذا ان دل علي شيء انما يدل علي مدي تاثير الظروف الاجتماعية على الفرد وعلي ادبه .وإذا قيل عن أبي العلاء انه اعتزل الناس ،فاود ان اشير هنا الي انه يظهر لنا ذلك ، ولكن في حقيقة الامر ان المجتمع كان ياتي اليه في داره من خلال تلاميذه ." لقد كانو يتحاورون في كل شيء ، في المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكل ما يهم العالم ان يعرفه عن مجتمعه ، ليدلي فيه برايه"[89] ، فالفرد يعيش في بيئة مادية او اجتماعية يؤثر و يتاثر بها ، وهو يكون مع هذه البيئة وحدة متكاملة ، وما انماط سلوكه وشخصيته عامة الا نتاج ذلك التفاعل الديناميكي بين عدة قوى وعوامل ،بعضها يرجع الي تكوين الفرد البيولوجي وبعضها يرجع الي مقومات مجاله السلوكي ،" وتعتبر شخصية الفرد المحصلة النهائية لهذا التفاعل"[90] .وعلى ذلك فهي التحقيق في جملة الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية التي تميز الشخص عن غيره من الناس تمييزا واضحا .

صدى العاهة علي شخصية أبي العلاء نفسيا:

وغير خفي أن تجربة واحدة من تجارب الحياة قد يكون لها التأثير الخطير ما يغير موقفنا من الحياة تغييرا شاملا ....كما سنرى مع ابي العلاء ،وعاهة العمى تؤثر عموما بنسب سلبية اكثر منها ايجابية .لكن هذا لا يعني تجاهلنا للجانب الايجابي وان قل ان لم نقل انعدم عند البعض ، لكن ليس عند ابي علاء : فهذا الامر جعله يقبل بنهم وشغف كبير علي تلقي العلم ويطمح الاستزادة منه على كثرته .وهذا ما يبرر قولنا : بان المتامل في ادبيات سيكولوجية الاعاقة سيدهشه التباين الملحوظ في الفروق الفردية علي صعيد نوع التكيف مع الاعاقة .فمن الواضح ان القيود الجسمية التي تقود شخصا ما نحو الياس تبعث في نفس شخص اخر الطموح والرغبة في الاستقلالية والنضج .

إن الأمريكي كتسفورد .custforth وهو باحث مكفوف كتب في كتابه المعروف"المكفوف في المدرسة والمجتمع يقول:"ان كف البصر يغير ويعيد تنظيم الحياة العقلية للفرد بأكملها ،وكلما حدث هذا النضج المولد للإحباط مبكرا ،اكثر كانت الحاجة الي اعادة التنظيم أكثر"[91]،.فيرسم بذلك منهاجا يسير عليه.

أما فيما يتعلق بالجانب السلبي المظلم من حياة المعاق بصريا فله عدة تعاريج ومنحنيات تؤدي به بطبيعة الحال الى دائرة مغلقة لا ينفك يخرج منها. ففقدان حاسة البصر من العوامل التي تجعل المكفوف طيلة حياته في تحد مستمر مع صعوبات الحياة ،وذلك للقيام بالأشياء التي قد نراها بسيطة للغاية قد تكون بالنسبة له عذاب مستمر ، الأمر الذي يعرضه للاكتئاب نتيجة الشعور المستمر بشفقة المحيطين به ، وهي اكثر شيء يصيبهم بالضيق من المجتمع والأفراد المحيطين ، وذلك للاضطرارهم لتحمل تدخلات الآخرين في حياتهم .وتفاعلهم مع الاخرين نجده دائما محدودا وليس مطلقا. لذا وجب علي المحيطين به السعي الدائم الي الوقوف جنبا الي جنب المكفوفون لمساعدتهم علي قهر ظلامهم .لذا نجد ابا العلاء يناشد الناس باخذ يد الكفيف صدقة من انفسهم:

---

3): المرجع السابق،ص71.

1): كارين ماكوفرت، سيد ابراهيم ليلة.اسقاط الشخصية في رسم الشكل الانساني ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت،1987،ص05.

2): منير سلطان،التضمين والتناص،وصف رسالة الغفران للعالم الآخر .المرجع السابق.ص 106.

3): طارق كمال، الاعاقة الحسية ،المشكلة والتحدي،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية،2007،ص 38.

1): الحديدي منى صبحي،مقدمة في الاعاقة البصرية،دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان،ط 3، 2009.ص 69.

تصدق علي الاعمي بأخذ يمينه لتهدية و امنن بافهامك الصما.[92]

ونقرا في قطعة عنيفة جمع فيها كل الامه التي سببتها له عاهته الدائمة فقد اضاعت عنه لذائذ الدنيا ، وأفقدته الشباب الذي لا يعوض وحرمته من الحب الذي هو حق طبيعي من حقوق البشر ،وجعله وحيدا محروما من الولد واننا لنرهب زفراته وهو يقول :

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى فليلتي القصوى ثلاث ليالي.
وما سرني رب الخيال لشخصه فبطلب مني النوم طيف خيال.[93]
وهون ارزاء الحوادث انني وحيد اغانيها بغير عيال.
فدعني وأهوالا أمارس ضنكها وإياك عني لا تقف بحيالي.[94] *

اما البيت الأخير نبين مدى تاثير البصر ،الذي يلعب دورا هاما في بناء وتطوير علاقات مع الأشخاص الآخرين ،وكثيرا ما يربط ابو العلاء في أدبه عامة بين كف البصر وضعفه في الحياة صراحةوفي غير حاجة إلي تأويل ،فهو لا يرى لعجزه شفاءا ومخرجا بل ان احساسه بهذا العجز متيقنا من ان كل داء في الحياة له دواء وكل عثرة لها قيام الا عثرته :اتتك قوادم المهيض وانتعشت العاثر، وجبر الكسيروانا على طريق الكمه مستقيم .ان ما عاناه ابي العلاء من كف بصره تفسر بعض مواقفه في رسالة الغفران ، وفي مصنفاته الاخرى حيث يعمد في هذه الرسالة الي شفاء كل صاحب عاهة منتهزا فرصة تحكمه الادبي في مصائرشخوصه ليحقق احلامه ، ويرضى شغفه الى الحياة السليمة الخالية من العجز لذلك لا نجد في رسالة الغفران عاهة من أي نوع، لقد انقلب المجتمع شبانا ...

وهاهو ذا يحكي ما جرى له فيما كتب في احدى رسائله الي داعي الدعاة الفاطميين فيه يقول : "وقد علم الله ان سمعي ثقيل ، وبصري عن الأبصار كليل وقضى علي وانا ابن اربع لا افرق بين البازل والربع ، ثم توالت محني حتى اشبه شخصي العود المنحني ،ومنيت في اخره العمر بالاقعاد وعداني عن النهضة عاد".وتعصر القلوب الا وشفقة اذ يظهر مدى حرقته بسبب هذا العجز الدائم وهذا التاوه الباكي الحزين.

وما بي طرق [95]*للمسير ولا الشرى لاني ضرير لا تضيء لي الطرق .[96]

ولا يزال يذكر آفته في كل نتاجه الفكري شاعرا وناثرا ،فتقرا في رسالة الغفران "والحوج علي ذات العوج ، وهي علي سواي سهلة كالانفاس ،ولو شاء الخالق لجعلني مثل الناس ".وما اصعب الامر على صاحب النفس الادبية ان يضطر الي الاستعانة بغيره فهو يسمي نفسه في هذه الرسالة الادبية العظيمة (المستطيع بغيره لابنفسه) وكثيرا ما يقال ان الاشخاص المكفوفين لا يحصلون علي اثارة كافية من عالمهم الخارجي وانهم تبعا لذلك يقومون باثارة الذات ."[97]مما يولد لهم بذلك ضغوطات نفسية توتر حالتهم. ومن ثم" فاحداث الحياة المثيرة للضغوط هي بمثابة متغيرات نفسية اجتماعية تسهم في اختلال الصحة النفسية لدى الفرد ."[98] لكن قبل التعمق والحديث في ضغوط الحياة وتاثيراتها .لا بد لنا ان نلقي نظرة عن اثر البيئة في حياة المعري من الوجهة النفسية .

البيئة وأثرها على المعري من الوجهة النفسية :

يري "ادلر" ان غايةالحياة النفسية الفردية هي البحث عن طرائق التوافق الاجتماعي ،فدراسة الحياة الواقعية للفرد تشجعنا علي تقدير اهمية العنصر اللاجتماعي فيها ،اذ ان الفرد لا يصير فردا الا في

---

2): ابو العلاء المعري ،اللزوميات،ج2 ،المرجع السابق.ص 295.
3): المرجع السابق،ص 229.
*) حيال الشيء،قبالته وازاءه.[94]
*) طرق:بكسر العين،يعني :قوة.[95]
2): ابو العلاء المعري،اللزوميات،ج 2، ص123.
3): منى صبحي الحديدي،مقدمة في الاعاقة البصرية،ص56.
4)حسين علي فايد،المشكلات النفسية الاجتماعية،المرجع السابق. ص 196.

خضم مجتمع .لان شخصية الفرد تكون ممثلة لروح الجماعة وتقاليدها وعاداتها ....ولهدا السبب يختلف الافراد باختلاف الجماعات التي ينتمون اليها .ومن هنا صارت الحاجة الي التكيف ضرورة للحياة والبقاء مع الجماعة .ذلك ان الفرد والبيئة متفاعلان لا ينجو احدها من الاخر. وكما قال الدكتور طه حسين :" اجتهاد من المعري للتشبه بغيره من الناس ، او اجتهادا لمصالحة الحياة "مما يعني ان المعري الف هذهالمحنة التي استقبل الحياة بها غير مستمتع بهذه الملكة التي ترسم في نفس الاحياء من الحياة ما لا عهد له بها.

يشير مضمون سقط الزند الى ان المعري لم ير في محنة بصره الا الدلالة علي الشر، بل هو راها شرا محضا، لذلك نالف في أشعاره تكرار امنية بعينها لابي العلاء ، هي التشوق الي مذاق التعب ، التعب المتولد عن الحركة والتجوال . لا ذلك التعب المنبعث من براثن العجز .يحلم ابوالعلاءان يضنيه وناقته ارهاق المسير ،وربما ارهاق الرحيل بحثا عن الامال بما يعد شكوى غير مباشرة من العجز المتولد من العماء يقول:

تعالي الله هل يمسي وسادي يمين للشملة او شمـــال
وهل ارمي بمتلفه نحيبا فمتى ينهض فليس به انتقال.

من هنا كانت اهمية فاعلية الذات في مواجهة ضغوط الحياة."حيث ان فاعلية الذات هي احد الخصائص التي من شانها ان تقي الفرد من وطاة التاثير السلبي للأحداث الضاغطة.ففاعلية الذات تنطوي على الثقة بالنفس وادراك التحكم وفاعلية في مواجهة المواقف الضاغطة "[99] فمجرد الشعور بالاختلاف عن الأفراد العاديين يسبب للفرد قلق نفسي.وذلك لأن عجز المعاق بصريا يفرض عليه عالما محدودا وحين يرغب في الخروج من عالمه الضيق والاندماج في عالم المبصرين ،يجد نفسه يحتاج الى الاستقلال والتحرر لكنه حينما يقوم بذلك يصطدم بآثار عجزه التي تدفعه مرة اخرى الى عالمه المحدود ،وحينئذ يتعرض لاضطرابات نفسية نتيجة شعوره بعجز عن الحركة بحرية وعلى السيطرة على بيئته كما يسيطر عليها المبصر وهو يصور لنا عجزه فيما يلي:

لقد علم الله رب الكمال بقلة علمي وديني ومالي
وان التجمل قد ضاق بي فكيف انافس اهل الجمال
اريد الاناحة في منـزل وقدحديت لسواه جمالي.
لقد خاب من يبتغي نصرتي وعاجزة عن يميني شمالي
فمن مخبري اغريق البحار القى الردى ام دقيق الوصال
هويت انفرادي كيما يخف عمن اعاشر ثقل احتمالي
امالي فيما ارى راحة مدى الدهر من هذيان الأمال.[100]

يحس انه يختلف عن الأشخاص العاديين، فكيف له ان يجاريهم، فهم احسن منه(في نظره)، لذلك يفضل البقاء وحيدا حتى لا يبين عجزه لغيره. فهو يصور في البيت الرابع بان قدرته على الحركة محدودة جدا ان لم تكن مستحيلة. واخيرا يتمنى ان يرتاح من هذه الدنيا ومن عجزه وبدا له تطلعه الى الحياة الطبيعية حلا مزيفا، بل حلما منقلبا الى خسران واذى، وكجناح النسر او كريشه الذي كان يسعفه في الطيران لتتزايد سرعته فاذا به في حال اخر يصبح ريشا في سهم، في حرب وصراع. يقول:

شكوت من الأيام تبديل غادر بواف ونقلا من سرور الى هم
وحالا كريش النسر بينا را يته جناحا شهم آض ريشا على سهم.[101]

الأنماط السلوكية عند المعري من الوجهة النفسية:

تشير الدراسات النفسية ان المكفوفين يتصرفون وفق احد الانماط السلوكية الآتية الذكر بغية الحصول على ماسموه بالتكيف، الذي يعرفه الدكتوراحمد حامد الزهران على االنحو الأتي:" التكيف

---

1): انظر،حسين علي فايد.المشكلات النفسية الاجتماعية ،المرجع السابق .ص 226.
2): ابو العلاء المعري،اللزوميات،ج2، المرجع السابق.ص 257.
1): كاميليا عبد الفتاح،الشعر العربي القديم،المرجع السابق،ص90.

الاجتماعي هو السعادة مع الآخرين والالتزام باخلاقيات المجتمع ، ومسايرة المعايير الاجتماعية والامتثال لقواعد الضبط والتفاعل الاجتماعي السليم، والعمل لخير الجماعة"[102] مما يؤدي الى تحقيق الصحة الاجتماعية. فهو اذن عملية يهدف بها الشخص الى تغيير سلوكه ليحدث علاقة اكثر توافقا بينه وبين البيئة.وبناءا على هذا الفهم نستطيع ان نعرف هذه الظاهرة بانها القدرة على تكوين العلاقات المرضية بين الفرد وبيئته.

ان هذه الأنماط السلوكية هي على النحو الأتي:

-1- السلوك التعويضي: يلجا المعاق بصريا الى التعويض كاستجابة لشعوره بالعجز او النقص.وهو بلجوئه لهذا يكون مدفوعا بشعوره بانه اقل كفاءة من المبصر.

مارس ابو العلاء سلوكه التعويضي في شعره كما مارس اللسلوك نفسه في نثره،ففي جنة غفرانه نراه قد امل النفس بتعويض كف البصر في الدار الآخرة،اذ صور المكفوفين وهم احسن مايكونون حدة في البصر،وما يكونون من جمال العيون ،وعوضهم ربهم ببصر حديد لحرمانهم في الدار الدني ا"فالأعشى صار عشاه حورا معروفا".وبينما هو يطوف ببطل قصة الغفران"ابن القارح"في رياض الجنة،لقيه خمسة اشخاص على خمسة انيق، فيقول:"مارايتت احسن من عيونكم من اهل الجنة،فمن انتم حتى خلد عليكم هذا النعيم؟ ليجيبه:نحن عوران قيس."[103]ومما سبق ذكره نستنتج ان جميع الأشخاص الذين ذكرهم في جنة غفرانه فهم مكفوفوا البصر،ولكنه ابى الا ان يعوض هذا الشعور بالعجز الملازم لحياته ببزوغ امل، فمنحهم قوة البصر.

-2- السلوك الأنكاري: يلجا المعاق بصريا الى الكبت كوسيلة دفاعية توفر له شعور بالامل وتوفير الرعاية له،وتجنبه الاستهجان والاستنكار.فيضغط على بعض رغباته ويمتنع عن تنفيذ بعض النزوات،ويضحي ببعض اللذات من اجل الحصول على تقبل الناس له والفوز بالشعور بالأمن وتجنب الاستنكار."فانكار العاهة يعد من اهم الحيل اللاشعورية الهروبية الشائعة لدى المكفوفين"[104] .وهذا دليل يؤكد على عجزه وفشله في طلب التكيف مع المحيط الذي يعيش فيه .لكن كبرياءه واعتداده بنفسه جعله يتناسى عاهته وينظر بالبصيرة التي ينمي من اجلها حواسه لأن العمى عنده عمى البصيرة لا عمى البصر. يقول:

تلف البصائر ،والزمان مفجع وادهى وافجع من ثوى الأبصار. بل انه يرى ان المرض البادي في شكل عينه ليس الا اكتحال بسواد الحندس،حيث يقول:

ان ينظر اعيننا رمدا ،فما رمدا ولا بغير سواد الحند س اكتحلا.[105] وفي فخرياته كثيرا ما ينطوي على الانكار المكبوت والخفي لعاهته :

وأغدو،ولوان الصباح صوارم واسري ولو ان الظلام جحافل

-3- سلوك دفاعي: ان المعري يمارس تشاغله الظاهر عن عاهته بالسلوك الدفاعي(التبرير)حين قال:

انااحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر

وقوله:

وقد احسن بي اذ كفاني رؤية الثقلاء البغضاء.

حتى انه راح ييسمو بالتشوه الخلقي قائلا:

وشقوة غشيت وجهي بنضرته ابر بي في نعيم جر اشحابي

-4- سلوك الاسقاط: "انه نوع من التبرير .وذلك عندما تنسب ما في نفسك من صفات غير معقولة الى غيرك بعد ان تجسمها وتضاعف من شانها."[106]. اما اسقاطاته فهي كثيرة،لكنها مصطبغة بتشاؤم حاد.وينحاز معظمها نحو الفخر الخفي بالبصيرة ،الممزوج بالسخرية الفاجعة على نحو ما نرى في قوله:

اعمى البصيرة لا يهديه ناظره اذ كل اعمى لديه من عصا هاد.

---

2): طارق كمال،الاعاقة الحسية،المشكلة والتحدي، المرجع السابق.ص27.

3): ابو العلاء،رسالة الغفران، المصدر السابق .ص 53.

1): ميسون محمود فخري العبهري،النقد الاجتماعي في لزوميات المعري، المرجع السابق.ص 49.

2): ابو العلاء المعري،اللزوميات،المرجع السابق،ص207.

3): ميسون محمود فخري،النقد الاجتماعي في لزوميات المعري،المرجع السابق ،ص50.

و قوله:

كمه البصائر،لايين لها الهدى او مبصرا،ابدا بعيني ارمد.

و قوله:

ولدي سر ليس يمكن ذكره يخفى على البصراء و هو نهار.

اما هدي، فوجدته ما بيننا سرا و لكن الظلال جهار.

لكن بالرغم من كل الوسائل و الطرق المغرية والحيل التي مارسها المعري لم يستطع الا ان يظهر سخطه على عاهته.واشعاره هذه تبين ذلك:

بعلم الهي يوجد الضعف شيمتي فلست مطيقا للغدو ولا المسرى.

غبرت اسيرا في يديه و من يكن له كرم تكرم بساحته الاسرى

و يقول:

لطالما صابرت ليلا عاتما ومتى يكون الصبح و الاسفار.

كما عدد اسرا على نحو ما نرى في قوله:

غدوت اسيرا في الزمان كانني عروض طويل قبضها ليس يبسط.

و نراه فيما بعد قد سار في ظلام القبر بظلام العمى:

و اظلام عين بعده ظلمة الثرى فقل في ظلام زيد فوق ظلام.

و بسبب هذا الظلام المطبق لا بد ان يكون رجاؤه الرحب و النور من بعد الضيق و الظلمة:

نرجومن الله رحبا اثر ضيقة من الامور و نورا بعد اظلام.

و ما هذه الابيات الا جزء صغير من رثائياته المطولة ،و التي يتضح من خلالها انه عانى اشد المعاناة ،و تعذب اشد العذاب من هذه الآفة التي حرمته الحياة.

<u>فلسفتة</u>:

دفع الالم ابا العلاء الى خصوصية الرؤية و الى روح نقدية ايضا مبعثها المقارنة بين الذات والعالم الخارجي ،والمتامل للمعاني التي ينيرها ابوالعلاء و يردها في شعره و ادبه عامة يجد انها معان يغلب عليها روح التحليل و الرغبة في الاستنتاج.

لقد اطلق بعضهم لفظ فيلسوف على من" درس العلوم الطبيعية و الرياضية و الالهية و الخلقية، احسن دراستها و قد جعل حياته النظرية مطابقة لحياته العملية"[107].و اذا كانت الفلسفة تعني البحث عن الحقيقة النظرية غير الخاضعة للهوى فان ابا العلاء جدير بلقب الفيلسوف لانه كان يسعى جاهدا في سبيل تكوين راي معقول عن الحياة و الكون مبتعدا عن اهوائه الشخصية."كما ان علاقة الشعر بالفلسفة هي بدورها مشكلة الوعي بالعالم من حيث نضاله و كفاحه من اجل فهم العالم والسيطرةعليه بواسطة اللغة "[108]،فيقف الفيلسوف حينئذ و يتنفس في ارض الماهيات و الوجدانيات نفس الموضوعات التي يتنفسها الشاعر،و اذا لم ينظم الفيلسوف شعرا ،فسوف يكتب النثر شعرا ،و يساعده المجاز. بحيث يستطيع ان يحسم دقائق فكرية رهيبة تعترض طريقه ، و يصبح في مقدوره ان يرى الوجود بعين جديدة ،و تمكن هذه الرؤية بمعنى البصيرة ان يكتشف ذلك العنصرالروحي الاصيل فيه، القادر على التامل العميق الذي لا يحكمه قانون موضوعي.

لا نقصد تحويل الفلسفة الى شعر ، و الشعر الى فلسفة ،فلكل منهما له خصوصياته ، و انما نبحث عن وحدة الانسان و عن ثراء وعيه،حيث نعتقد انهما يكمنان في تكامل و تفاعل النظريتين الشعرية و الفلسفية.و لعل عبارة **"تيو دور ادورتو T.adorto"** تعني ذلك المعنى : "ان ثمة تشابكا و تداخلا بين الفلسفة و الفن من حيث (مضمون الحقيقة)الا ان الحقيقة الخاصة بالعمل الفني لا تشبه تماما تلك الحقيقة الاخرى بالمفهوم الفلسفي."[109] ان الحقيقة الخاصة في الفن تجسد صورة مجازية اما الحقيقة الفلسفية تتخذ

---

1): ميسون محمود فخري،النقد الاجتماعي في لزوميات المعري، المرجع السلبق.ص 70.

2): وفاء ابراهيم،الفلسفة والشعر،الوعي بين المفهوم والصورة،دار الغريب للطباعة والنشر ،القاهرة،1999 .ص 15.

1): وفاء ابراهيم،الفلسفة والشعر،الرجع السابق،ص 51.

مفهوما منطقيا دقيقا ،و مع ذلك نستطيع القول ان كل منهما هو مرأة الآخر.تظهر البعد الذي غاب عن كليهما .و هذا الاخير ثمار ما يمكن ان نجنيه من تفاعلهما.

كان ابو العلاء برما بالحياة ، و كان يراها سلسلة آلام،فاكثر من نقدها و نقد الذين يعيشون فيها.و اعجب بعض الناس هذا النغم الذي يردده ابو العلاء .و راعهم انه كان صاحب عقل حر بالنسبة لاهل عصره فهو يهاجم اصحاب الاديان ،فذهبوا الى انه كان فيلسوفا ،و حشرووه في زمرة الفلاسسفة ،و "هناك من عده فيلسوفا لزهده في الحياة ،لكن هذا لا يكفي لنعده فيلسوفا بالمعنى اليوناني لهذه الكلمة ،انه لم يعرف عنه كانه كان ملخصا للفلسفة اليونانية على نحوما صنع الفارابي و غيره من جماعة الفلاسفة المسلمين ،وهو ايضا لم يعرف عنه انه نمى مذهبا من مذاهب الفلسفة اليونانية "[110] و مهما يكن من اختلاف و تباين الأراء حول فلسفته الا ان امرا عظيما بدا جليا فيما بينهم ،وهو اتفاق اكثرهم على ان المعري مفكر عظيم و باحث قد عن الحقيقة النظرية و المجردة عن الاهواء و النوازع ،فهوان لم يكن فيلسوفا ، فهو شاعر الفلاسفة و فيلسوف الشعراء .اولهما انه ليس للفلسفة تعريف محدد جامع مانع،"فهي علم نظري اختلف في تعريفه بين عصر و أخر[111]،و ثانيهما ان المعري من المفكرين الكبار الذين ذهبوا في قضايا الانسان و المصير و الماورائيات متعمقين متوسعين فيها.

ان الكلمة الكبرى التي حسم بها ابو العلاء العملاق، كل أرائه و قضاياه و كانت مدخلا و مفتتحا لفلسفة و مذهبه في الحياة و الموت و المصير هي جناية الوجود ذاته:

هذا جناه ابي علي و ما جنيت على احد [112]

وهذا ما يدل على كل ما يمتاز به هذا الشاعر عن سائر شعراء العربية خاصة بنظرته الشاملة و روايته العميقة ، ولعل هذا ما حمل بعضهم على و صفه بالفيلسوف و لئن كانت أراؤه متناثرة في اشعاره و دواوينه، فان القارىء المجتهد قادر على استخلاص مادتها و جمع شتاتها ، واستنباط ما اشتملت عليه من مبادىء بمذهب فلسفي محكم دقيق.

ان عالم المعري كئيب موحش لا تلوح فيه بارقة الامل ولو شئنا تحديد الوانه لقلنا انها الاسود او جميع الالوان العاتمة و ليس بامكاننا تغيير هذا الواقع المر.و هذا ما هو الا مآل طبيعي منطقي لمثل حالته . لايمكن لنا ان نكسر هذا القانون،وان حدث ذلك،فانه راجع الى مابين البشر من فروق في الظروف والتكوين الجسدي،او الى طبيعة الحياة القائمة على التناقض ،" فقد ينبجس الماء من الصخر، ويشرق النور من قلب الديجور.وقد يكون الضحك تنفيسا عن الألم وترويحا عن النفس على مبدا :الطير يرقص مذبوحا من الألم" [113].لذا علينا ان نتقبل نظرة ابي العلاء السوداوية التشاؤمية.

مواضيع فلسفته:

-ا- الفلسفة العملية: وفي هذا الجانب سنتعرف على القضايا والرؤى التي طبقها ابو العلاء الفيلسوف في حياته،واول ما نبدا به :

1.**الموت والحياة**: شغلت قضية الموت الفكر الانساني قديما وحديثا لانها تشكل النهاية لهذا المخلوق الذي وجد على الارض.بقي الانسان في تردد وحيرة ازاء مصيره،نهايته ومآله مما اثر على معايير آماله وطموحاته.

ابو العلاء كان يخاف الموت،حتى اصبح شغله الشاغل في حياته ،لكن سرعان ما ركن الى حقيقة مفادها ان الموت هو الطريق المخلص وقوله:

فمالي اخاف طريق الردى وذلك خير طريق سلك .
لم يحل من عيشه مرة ومال اضيع ، ومال ملك.

كما انه خبر الحياة وادلى بدلوه فيها فماذا وجد :

وهي الحياة فعفه او فتنة ثم الممات فجنة او نار.[114]

---

2): انظر،شوقي ضيف،الفن ومذاهبه،ص388.
3): ميسون محمود فخري،النقد الاجتماعي في لزوميات المعري،ص 74.
4): عبد القادر محمود،رحلة الى الدار الآخرة مع المعري ودانتي؛ص35.
1): عبد الرحمن دركزلي،فلسفة المعري..2006.ugrv.journal
2): ابو العلاء المعري،اللزوميات،ج1،المرجع السابق.ص 316.

في مواقف يؤثر الموت علي الحياة عادا اياه مخلصة من المصائب:

اهلا بغائلة الردى وايابـها كما تسـرني بفضل ثيابـها.

ويقول:

نصحتك فاعمل لـه دائمـا وان جـاء موت فقل:مرحـبا.[115]

ومن الملفت للانتباه ان في لزومياته كثيرا ما يقرن حديثه عن الحياة بذكر الموت :

وما العيش الا علة برؤها الردى فخلي سبيلي انصرف لطياتـي[116]*.

وقوله:

وموت المرء نوم هـان جـدا عليـه،وكـل عيـشـه سهـاد.

وصف ابو العلاء علاقته بالحياة بانها علاقة ضعيفة مضطربة ،طرفاهاعلى نقيض،بينما هو شجرة ضعيفة تحتاج الى المد والغيث.تكتفي الحياة بان تعطي له مظاهر العيش ومقدماته فقط،من برق وغيم وغير ذلك مما لايتعدى هذه الحدود. ومن ثم يحتجز المطر عن ذلك الشجر وتبقى على حالها من الضعف والجوع:[117]

دهري قتاد وحالي حالة ضؤلت عما اريد ولوني لـون لبـلاب.

وان وصلت فشكري شكر بروقه ترضى ببرق من الامطارخلاب.

وفي مقدمة "ديوان سقط الزند" يصف ابو العلاء حرمانه حين يصور امتداد عمره بانه شجر غير نثمر،وان الثمر فورقه غير مجدية ومر العمر فكانها سنوه السمر ويعدم عنده الثمر،وانما يجود بربي ليس بطائل لايسمح بقوت العائل .

والحيـاة فـي راي المعـري اشـبه بجثـة تسـبح حولهـا الكـلاب النـوابح،وان الاكلـين منهـا هـم الخاسرون،الزاهدون ،الهاربون منها هم الرابحون. فما الداعي الى المطمع في دار كلها شتات ،كل عامر فيها خراب ،وكل آت اليها اياب ،وكل حي الى ممات ،كما يقول:

اصاح هي الدنيا تشـابه ميتـة ونحن حواليها الكلاب النوابـح.

فمن ظل منها آكلا فهو خاسـر ومن عاد منها ساغبا فهو رابح.

فما تريد بـدار ليـس مالكـها تقيم فيها قليلا ثـم تنصـرف.

ان عاهة العمى عند المعري،خلقت له تركيب نفسي خاص،قوامه تلك الثنائيات المتصارعة.فهو محب للحياة كارها لها،مشفق على ذاته منكر لانتمائه اليها ،طالب للموت ،خائف منـه.عظيم الثقة بعجزه،عظيم الثقة بادبـه وفكره وامكاناتـه الابداعية.لذلك قد ارهقت روحـه تحت وطـاة هذه الثنائيات،لذا حـار بعض الدارسين في امر موقفه العلائي الذي لا يخلو ظاهره من تناقض، وانتهت بهم الحيرة الـى القول بـان: " التناقض ظاهرة عامة شاملة في اراء ابـي العلاء جميعا "[118]. وقالوا ان السر في تناقض او تغاير ارائه فهو نفسي محض ، يرجع الى امرين في نفسه:

1. الرغبة المتمثلة في الاستعلاء على ضعفه، والقهر لواقعه.

2.دقة هذه النفس الشاعرة في ادراك عوالمها المختلفة وخوالجها المتغايرة

قد يكون الحكم بالتناقض على اراء ابي العلاء وراء انصرافه عن الاهتمام بما يقال عن "الوعي بالذات و الوعي بالجماعة " لدى الشاعر كما سياتي الحديث فيما بعد عن عزلته.

2- **تعطيل الزواج والنسل** :

و بعد الانتهاء من الحديث و بايجاز عن ثنائية الحياة و الموت ننتقل الى عرض راي ابو العلاء حول الزواج و النسل، فهو يطلب الابتعاد عن النسل مبررا بذلك او متخذا فيه حجة ان عاقبته وخيمة مشبها ذلك

---

1 **):** ابو العلاء المعري،اللزوميات،المرجع نفسه ،ص99.

*) طياتي :حاجاتي.[116]

3): ميسون محمود فخري،النقد الاجتماعي في لزوميات المعري،المرجع السابق.ص97.

1): عبد القادر زيدان،قضايا االعصر في ادب ابي العلاء،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الاسكندرية.ط 1. ص126.

بضرورة الابتعاد عن الخمر – لما تسببه من هلاك لصاحبها سواء كان هلاك ديني او دنيوي –رغم ان رائحتها زكية كما يقول :

دع النسل ان النسل عقباه ميتة و يهجر طيب الراح خوفا من السكر.[119]

او كما يقال في لغة الفلاسفة : "ان الانسان يشرع في الموت بمجرد ما يولد.وهذه الفترة المحدودة التي يحياها انما المدة التي تستغرقها عملية وفاته "[120] و امتنع عن الزواج لان الحياة برايه كلها شقاء و تعب :

و النسل فرش لهموم الفتى و العقل مسلوب من المفارش

و يقول :

فليت حواء عقيم غدت لا تلد الناس ولا تحبل .

يرى ان سعادة آدم تحققت قبل خلق حواء لانه في رايه جاءت و معها الشر :

الات الظلم جئنا بشر ظلم و قد واجهننا متظلمات .

فوارس فتنة، اعلام غي لقينك بالاساور معلمات .

و سار ماقتنعنا بحسن اصل فجئنك بالخضاب موسمات.

و مهما يكن راي ابي العلاء في الزواج ، فانه يرى ان من احزم الامور عدم النسل متمنيا بذلك موت الوليد قبل مجيئه الى الحياة :

و ليت وليدا مات ساعة وضعه و لم يرتضع من امه النفساء.

و لشدة خوف ابي العلاء على الابن و الوالدين معا دون تمييز احدهما على الاخر فانه تمنى لو ان آدم ابو العالمين كان قد طلق حواء ام العالمين ، لكانت انقطعت سلسلة النسل المتواصل التي ادت بكل هذه الشرور :

يا ليت آدم كان طلق امهم او كان حرمها عليه ظهار.

لذلك ابتعد المعري عن الزواج و النسل . و قد مات و كل اعتقاده ان عدم انجابه من اعظم حسناته على الاطلاق .على الاقل كي لا يعاني ابناؤه من بعده كما عانى هو موضحا في قوله :

هذا ما جناه علي ابي و ما جنيت على احد .

و كانه عمل بالمثل القائل : " المرء لا يلدغ من الجحر مرتين ."

3-نباتيته:

راى بعض الدارسين ان النباتية فلسفة مختصرة على ابي العلاء "و انها منهج تزهدي اتبعه طيلة خمسة و اربعين سنة "[121] .و من المعروف ان ابا العلاء ترك اكل اللحم و مشتقاته رحمة بالحيوان و رافة به " وقيل انه في مرضه الاخير عندما وصفوا له ان ياكل الفروج الصغير كعلاج له رفض و قال مخاطبا :" استضعفوك فوصفوك و ذبحوك !!! هلا جاؤوا بشبل الاسد ؟"[122]و لشدة عطفه على الحيوان و الطير انشا في لزومياته ثلاث قصائد طوال ، خاطب في احداها الحمامة و في مطلعها :

لك النصح مني لا اغاديك خاتلا بمكر و لكني اغاديك مكرما.

روى الرواة ان سائلا ساله : " لما لا تاكل اللحم ؟ فقال : ارحم الحيوان ، قال : فما تقول في السباع التي لا طعام لها الا لحوم الحيوان ؟ فقال فان كان الخالق الذي دبر ذلك فما انت باراف منه ، وان كانت الطبائع الحدثة لذلك فما انت باحدث منها ، و لا هي انقص عملا منك " . و يعلق ابن الجوزي على هذه الرواية فيقول : " لقد كان يمكنه ان لا يذبح رحمة ، فاما ما ذبحه غيره فاي رحمة قد بقيت في ترك اكله " على كل حال كان ابو العلاء نباتيا و قد صد عن اكل اللحم و دعى الى ذلك ، وله حوار طريف مع داعي الدعاة في هذه المسالة يرجع اليه القارىء و لكن هل هذه النباتية تجعلنا نزعم انه فيلسوف ؟. لانها طريقة في الحياة و ليس طريقة في التفكير .

---

2): ابو العلاء المعري،اللزوميات،ج1،ص353.

3): ميسون محمود فخري،النقد الاجتماعي في لزوميات المعري،ص100.

1): ميسون محمود فخري،النقد الاجتماعي في لزوميات المعري،ص 110.

2): عبد القادر محمود،رحلة الى الدار الآخرة مع المعري ودانتي،ص 31.

زهــده :

الزهد ظاهرة نفسية كما لها اثر كبير في الشعر العربي "و الزهد لغة هو عدم الرغبة اما اصطلاحا فهو حنين الروح الى مصدرها الاول ولمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا و متاعها ، و تفضيل نعيم الأخرة عليها "[123] و مرت الروحية العربية بعدة مراحل ، و تعرضت لعدة مؤثرات و بعد ان كانت تدينا و تورعا ، تطورت الى زهد ثم مع تطور الحياة تحولت الى تصوف تاثر بالنظريات الفلسفية .

لقد خاض المعري تجربة زهدية فذة ، استمرت قرابة خمسين عاما ، فرض على نفسه فيها حياة بالغة القسوة .فكان طعامه البقل ، و لباسه القطن ، و فراشه سجادة من لباد في الشتاء ، و حصير في الصيف . كان يعيش على ايراد يسير ياتيه من وقف له مقداره بضعة و عشرون دينارا في السنة ، يدفع نصفه الى الخادم و يعيش عامه بالنصف الثاني ، فاذا ضاق القدر الضئيل عن الوفاء بضرورات العيش تخلى عما يطيق الاستغاء عنه .دون ان يشكوا فقرا ،بل انه رفض ما عرض عليه من هدايا و منح مثلما رفض التكسب بشعره .

و نقطة اخرى في تجربة الزهد العلائية لا يسعنا الا ان نمر عليها دون ان نقف عندها في محاولة لتفسير مصدرها .هذه التجربة تتقاطع و تجربته النباتية .و هي امتناعه عن اكل لحم الحيوان كما اشرنا سالفا .الا ان ملكه في هذا المجال يعود الى اسباب اهمها قلة مواريده المالية فهو الذي يقول :

و المرء ليس بزاهد في غادة لكنه يترقب الامكانا .

و كذلك قوله :"ربما حثني على ترك اكل الحيوان ان الذي لي في السنة نيف و عشرون دينارا ، فاذا اخذ خادمي بعض ما يجب بقي لي مالا يعجب ، فاقتصرت على فول و بلسن ، و ما لا يعذب الالسن ".

ويبعث الى احدهم بهدية متواضعة معتذرا فيها بان حاله اقل منها ، و يقول كذلك في رسالته نافيا عنه الزهد ، مؤكدا اضطراره الى الحياة ضيقة لا يطمع الا في اتساعها : " و راتني مضطرا الى القناعة فقالت : زاهد ، و انا في طلب الدنيا جاهد ." [124]و ابو العلاء لا يترك مناسبة للحديث عن هذا الحال الا انتهزها .ففي موضع أخر يصرح لنا بانه لم يركن الى تلك الحياة السامية التي ضنها البعض زهدا ، يصف حاله – الذي ضن زهدا – وصفا بارعا في سقط الزند فيصور نفسه قابعا فوق السحاب و تلك الجلسة و اذ كانت متسامية نبيلة ، يتيح لنا النظر من اعلى و تبين لنل تقديره لذاته و اكباره لامكاناتها الداخلية ، لانها جلسة تنأى به عن المطر و الخير و الخصوبة :

كاني حيث ينشا الدجن تحتي فها انا اطل و لا اجاد .

و في قوله :

حورفت في كل مطلوب هممت به حتى زهدت فما خليت الزهدا.

ففي البيت الاخير يبين ان حاجته الشديدة هي ما دفعه ان يكون زاهدا متقشفا .

نقطة مهمة يجب ان نعرج عليها و هي صفة التصوف فهناك من يخلط بينها و بين الزهد . انهما في العموم متشابهان الا ان لكل منهما خصوصياته التي تميزه فالزهد شيء و التصوف شيء أخر " التصوف مرحلة من مراحل التفكير ، انه يبدو على صلة بمحاولة العقل الانساني ان يفهم حقائق الاشياء و ان يتمتع بالوصول الى الله "[125]. اما الزهد فان مادته في اللغة العربية تدل على انه عدم الرغبة كما سبق و اشرنا يقال : زهد في الشيء اذا لم يرغب فيه ، و موضوعه الدنيا . و يقال الى الرجل الذي انصرف الى العبادة و ترك الاستمتاع الى بلذائذ الحياة : زهد في الدنيا . و هذا هو المعنى الديني للزهد .

قال النبي صلى الله عليه و سلم : " اذا رايتم الرجل قد اوتي زهدا في الدنيا و منطقا ، فاقتربو منه ، فانه يلفق الحكمة "[126] و قيل الزهد من قوله تعالى :" لكي لا تاسو ا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما أتاكم ". فالزاهد لا يفرح بوجوده في الدنيا و لا يبالي بمن اخذها . و كل هذه المعاني تدور حول الانصراف عن

---

1): سراج الدين محمد،الزهد والتصوف في الشعر العربي،دار الراتب الجامعية،بيروت،لبنان،ص 05.

2): كاميليا عبد الفتاح،الشعر العربي القديم،المرجع السابق.ص98.

1): عبد الحكيم حسان،التصوف في الشعر العربي،نشاته وتطوره حتى آخر القرن3هـ،مكتبة الآداب،القاهرة،2003،ص19.

2): المرجع السابق،ص24.

لذائذ الحياة و متعها . وعدم الركون اليها ، فالزهد سلبي لكن التصوف ايجابي . و قالو : " الصوفي بربه ، و الزاهد بنفسه ."

2- الفلسفة الطبيعية :

من خلال آثاره التي تركها لنا يتبين لنا موضوعات فلسفته الطبيعية و المتمثلة في : الزمان ، المكان ، ....

أ- الزمان : قام بتعريفه في قوله :

اذا قيل قال الدهر شيئا فانما يراد به الدهروالدهر خادم
و مولد هذي الشمس اعياك حده و خير لب انه متقادم
و أيسر كون تحته كل عالم ولا تدرك الاكوان جرد صلادم
اذا هي مرت لم تعد و رائها نظام ، و الاوقات ماض و قادم
فما أب منها بعدما غاب غائب ولا يعدم الحنين المحدد عادم

و بهذا التعريف نرى بان : " الزمان ليس حركة الفلك بل هو اعم منها .لان الزمان من الامور المعنوية التي لا يمكن ادراكها بالحس ، اذ انها كون محض او وجود مطلق .و ليس الزمان حركة الافلاك الا تقسيما للزمان " و الى هذا المعنى يشير المعري :

ولـيس لنا علم بسر الهما فهل علمته الشمس ام شعر النجم.

و قوله :

لهفي على ليلة و يوم تالفت منها الشهور
والفيا عنصري زمان ليس لاسراره ظهور.

ب- المكان : عرفه بانه ضد الزمان ، أي انه شيء اقل جزء منه لا يمكن ان يشمل على جميع المدركات كما تقدم ن و لم يذكر له حدا مانعا و انما عرفه ببعض اغراضه العامة كقوله :

اما المكان فثابت لا ينطوي لكن زمانك ذاهب لا يثبت

و خوافي المكان انه من دون لون او حجم :

مكان و دهر احرزا كل مدرك و ما لهما لون يحس ولا حجم .

معتقـده الديني :

كان دينه و عقيدته موضع اهتمام و بحث منذ كان و حتى يومنا هذا ، و قد تحدث فيه معاصروه و ما يزال اهل عصرنا فيه يتحدثون ، و لم تتفق كلمتهم قط حول معتقده الديني الى يومنا هذا و سنتحدث فيما بعد عن مختلف الفرق التي اختلفت فيه .يقول التبريزي : " ان ابا العلاء سالني يوما ما الذي تعتقد ؟ فقلت في نفسي : اليوم اقف على اعتقاده .فقلت له : ما انا الا شاك ، فقال : و هكذا شيخك "[127] . و اقر ابو العلاء بهذا الشك في احدى رسائله الى داعي الدعاة يقول : " قد بدأ المعترف بجهله ، و المقر بحيرته و الداعي الى الله سبحانه ان يرزقه ما قل من رحمته " و يضهر انه كان لمحنة ابي العلاء في بصره اثر في تكييف هذا الشك العلائي .فقد كان يضيق بما اصابه من هذا الشر في بدء حياته و لم يستطع له تفسير فرجع يشك في بعض الحقائق ، حتى ليشك في شك نفسه ، و هذا مصدر ما نجده عنده من تناقض يعتري أراءه في قوله :

الحمد لله قد اصبحت في لجج مكابدا من هموم الدهر قاموسا .

و اتسعت دائرة حيرته ، و لم يستطع ان يقاومها فمكث فيها تائها حائرا يقول :

قد ترامت الى الفساد البرايا و استوت في الضلالة الاديان
انا اعمى فكيف اهدي الى المن هج و الناس كلهم عميان

و قوله :

طلبت يقينا من جهينة عنهم و لم تخبريني يا جهين سوى الظن
فان تعهديني لا ازال مسائلا فانى لم اعط الصحيح فاستغني

---

1): شوقي ضيف،الفن ومذاهبه،المرجع السابق،ص390.

و ايضا :

اما اليقين فلا يقين و انما اقصى اجتهادي ان ان و احدسا .

ان ابا العلاء لم يكن صاحب يقين في راي من الاراء ، بل هو صاحب اظن و حدس .و هو يعمم هذا الشك في كل شيء سوى ايمانه بربه اذ يقول :

انبت لي خالقا حكيما و لست من معشرا نفات

فابو العلاء لم يكن يشك في ربه اذ كان يرى كل شيء حوله يشهد بوجوده ، و هو كذل لم يكن يشك في عقله / بل كان يؤمن به ايمانا شديدا حيث يقول :

كذلك الظن لا امام سوى العق ل مشيرا في صبحه و المساء

و كذلك :

و شاور العقل و اترك غيره هدرا فالعقل خير مشير ضمه النادى

اما فيما يخص الفرق المختلفة في شان ديانته فهي كالاتي :

1- **فريق اتهمه بالزندقة و الالحاد** : و كان ممن اتهمه في دينه و رماه بالالحاد عدد من العلماء القدامى و منهم ياقوت الحموي الذي قال عنه : " و كان متهما في دينه ، يرى راي البراهمة ، ولا يرى افساد الصورة ، و لا ياكل لحما و لا يؤمن بالرسل و البعث و النشور "[128] . و ابن الجوزي الذي قال : " و كان ضاهر امره يميل الى مذهب البراهمة ، لانهم لا يرون ذبح الحيوان ن و يجحدون الرسل وقد رماه جماعة الزندقة و الالحاد و ذلك امر ظاهر في كلامه و اشعاره ، و انه كان يرد على الرسل و يعيب الشرائع و يجحد البعث و اقواله تدل على اختلال عقيدته " . و كذلك ابن الوردي الذي قال : " كنت اتعصب له لكونه من المعرى ثم وقفت له على كتاب " استغفرو و استغفري " فابغضته و از دت عنه نفرة ، و نظرت له في كتاب " لزوم ما لا يلزم " فرايت التبري منه احزم فان هاذين الكتابين يدلان على انه كان لما نضمهما هائما حائرا و مذبذبا نافرا ، يقر فيهما ان الحق قد خفي عليه ، و يود لو ضفر باليقين .

لا نستطيع ان نخرج من كل ذلك بان ابا العلاء كان زنديقا و ملحدا كما قال بعض القدماء . و الواقع انهم تطرفوا حينما اضافو الى ابي العلاء الزندقة و الالحاد ملتمسين ذلك في ابيات حملوها على معنى مخالف لما قصده و هي قليلة جدا في لزومياته اذ كثرتها تحميد و تقديس و تمجيد الله .

2- **فريق ذهب ان ابا العلاء صحيح العقيدة مؤمنا بها :** و يقف على راس هذا الفريق ابن النديم صاحب كتاب " الانصاف و التحري في دفع الظلم و التحري عن ابي العلاء المعري " حيث يقول : " تصده جماعة لم يعوا وعيه ، وحسدوه اذ لم ينالوا سعيهم :فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد ، ووجدوها خالية من الزيغ و الفساد .فحين علمو سلامتها من العيب و الشين سلكوا فيها معه مسلك الكذب و المين ن ورموه بالالحاد و التعطيل و العدول عن سواء السبيل ن فمنهم من وضع على لسلنه اقوال الملحدة ، و منهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده و جعلو محاسنه عيوبا و حسناته ذنوبا وغفله حمقا ، وزهده فسقا .و رشقوه باليم السهام و اخرجوه عن الدين و الاسلام ، وحرفوا كلمه عن مواضعه و اوقعوه في غير مواقعه "[129]. و له كتاب موسوم ب " زجر النابح " ابطل فيه طعن المزري عليه و بين فيه عذره الصحيح و ايمانه الصريح واتبع ذلك بكتاب اسمه " نجر الزجر " يبين فيه مواضع طعنوا بها عليه . اما السلفي فيرى ان المعري مؤمن تقي نظرا لما سمعه من القاضي ابي المهذب عن القاضي ابي الفتح الذي قال : " دخلت على ابي العلاء ذات يوم بالمعرة في وقت خلوة بغير علم منه ، و كنت اتردد اليه و اقرا عليه فسمعته ينشد من قوله:

كم بودرت غادة كعاب و عمرت امها العجوز

احرزها لولدان خوفا و القبر حرز لها حريز

يجوز ان تبطيء المنايا و الخلد في الدهر لا يجوز

---

1): ميسون محمود فخر الدين،النقد الاجتماعي،المرجع السابق،ص141.

1): المرجع السابق،ص142.

ثم تاوه مرات و تلا : " ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع لـه النـا.. و ذلك يوم مشهود . و ما نؤخره الا لاجل معدود ، ياتي لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي و سعيد " ثم صـاح و بكى بكاءا شديدا و طرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع راسه و مسح وجهه و قال : سبحان من تكلم بهذا في القدم ! فقلت له : يا سيدي مالي ارى في وجهك اثر غيض؟ فقال : لا يا ابـا الفتح ، و لكن انشدت شيئا من كلام المخلوق ، و قرات شيئا من كلام الخالق ، فلحقني ما رايت .فتحققت صـحة دينـه و قوة يقينه " ان الله يطل شعره من كل ناحيـة و قد عثرنـا فـي قصـائده علـى كثير من الابيـات التـي يسبح فيها بحمده ، و يقر فيها بوحدانيته ، حتى انه في ديوانه " لزوم ما لا يلزم " يقول عن قصـائده : " فمنها ما هو تمجيد لله الذي شرف عن التمجيد ووضع المتن في كل جيد ، و بعضـها تذكير للنـاس و تنبيه للرقدة الغافلين " .

ولعل ابرز صفات الوجود و الاقتدار فيما يقول :

اقر بان لـي ربـا قديـرا لا القـى بدائـعه بجحـد

كما يعترف بانه يجهل الحكمة من خلق البشر ، و لكنه على ثقة بان هناك الاها قديرا و راء ذلك فيقول :

الله صورني و لسـت بعـالم لم ذاك سبحان القدير الواحد

فلتشهد الساعات و الانفاس لي التي يرنت في الغوي الجاحد

اضافة الى هذه الابيات التي تبين ايمانه بالرسالة المحمدية و ما جاء فيها و التي تقول :

دعاكم الى خير الامور محمـد و ليس العوالي في القنا كالسوافـل

حداكم على تعظيم من خلق الضحى و شهب الدجى من طالعات وآفـل

و حث على تطهير جسم و ملـبس و عاتب في قذف النساء الفوافـل[130]

كما انه مؤمن بالبعث و الحشر يتبين هذا في قوله :

وقدرة الله حق و ليـس يعجزهـا حشر لخلق ، و لا بعث لامـوات

ثم انه تعجب ممن ينكر او يشك في حقيقة البعث و حشر الاجساد على نحو ما نرى في قوله :

و متى شاء الذي صورنا اشعر الميت نشورا ، فنشره

فافعل الخير و امل غبه فهو الذخر اذا الله حشره [131]

لانه يؤكد حقيقة الحشر قائلا :

اما يرى الانسان في نفسـه أيـات رب كـلها غـر ؟

في فمه عذب ، و في عينيه ملح وفـي مسمعـه مـر

و قوله :

و الله ينشر ارواحا بقدرتـه و يبعث الغيث في ارواحه النشر

---

1): ابو العلاء المعري،اللزوميات،ج2،المرجع السابق.ص295.

2): المرجع السابق،ج1،ص409.

-1- دراسة نفسية لشخصية الشاعر"امرئ القيس"

لقد جاء في نص رسالة الغفران لأبي العلاء المعري: " ويسأل من امرئ القيس بن حجر فيقال: ها هو ذا بحيث يسمعك، فيقول: يا أبا هند أخبرني عن التسميط المنسوب إليك أصحيح هو عنك؟ وينشد الذي يرويه بعض الناس:

يا قوم إن الهـــوى إذ أصاب الفتـــى
في القلب، ثم ارتقـــى فهد بعض القـوى
فقد هوى الرجل

فيقول: " والله! ما سمعت هذا قط، و إن الكذب لكثير و أحسب هذا البعض شعراء الإسلام، ولقد ظلمني و أساء إلي: فيعجب بما سمعه... " [132] أي أن ابن القارح يستعجب ويندهش لما سمعه عن فاه امرئ القيس.

ولكي نتعرف عن نفسية هذا الأخير و كذا شخصيته يجب علينا أن نستخرج بعض العناصر أو النقاط المتواجدة سواء في سيرته ككل، أوفي دواوينه الشعرية التي تنبعث عن مواقف و تجارب مر بها هذا الشاعر عبر حياته، وهذا بهدف يعرف وضوح صورته النفسية و كذا الاجتماعية.

فامرئ القيس هو ذلك الملك الظليل ذو القروح جندج بن حجر الكندي ولد أثيل المنبت، كريم الأبوة والأمومة فأبوه سليل الملوك من كندة، ملك بني أسد، و أمه أخت كليب المهلهل شب في حجر النعيم ، نشأ نشأة الغواة يعاقر السراح ، ويغازل النساء ، ويعشق اللهو ويقول الشعر ، طرده أبوه وكان أصغر أولاده فخرج من أخلاط العرب فطفقوا يلعبون ويعاقرون ويصيدون، حين قتل أبوه على يد بنو أسد، عليه قال: " ضيعني أبي صغيرا ، وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمرا وغدا أمرا " [133] يعني رغم أن امرئ القيس كان من رواد ومن المتهافتين على الخمر والنساء، ومن أصحاب المجون إلا أنه عندما قتل أبوه تفطن لذلك و أحس بواجبه (الثأر) اتجاه والده ألا وهو الثأر ورد الكرامة لأهله و قبيلته، و كأننا نلمس في نفسيته و كذا شخصيته ككل الثقة بالنفس " فالشخصية السوية تنظر إلى ذاتها نظرة إيجابية، بغض النظر إلى جوانب القوة والضعف فيها و هذا ما يهدف إلى الإحساس بالقيمة الذاتية و المسؤولية أمام تحديات العصر، في وقت لا يحتاج فيه حماية الآخرين و الإحساس بالكفاءة عن ممارسة أي عمل يطلب به " [134] أي عنده ثقة كبيرة بنفسه أن الأمر أو العمل المكلف به سينجز رغم العراقيل وصعوبة العيش.

ووصل بامرئ القيس إلى أنه " أبى ألا يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن بدهن حتى يقتل من بني أسد مائة، وفي ذلك انشد فقال:

أرقـت لبرق بليل أهل يطئ سناه بأعلى الجبل
أتاني حديث فكذبتـه بأمر تزعزع منه القلل
يقتل بني أسد ربهـم ألا كل شيء سواه حلل

---

1): أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، المرجع السابق، ص 61

2): المرجع نفسه، ص 65

1): مأمون صالح ، الشخصية ، بناؤها ، تكوينها ، أنماطها ، اضطراباتها ، المرجع السابق، ص (10

فأصيب بعلة جلدية، فتقرح جسمه و تهرأ لحمه إلى أن توفي بجبل عسيب سنة 520 م ومن هنا نكتشف أن شخصية امرئ القيس قوية جدا و متصلبة المواقف و الآراء". فهي شخصية متصلبة برأيها دون عقلية مغلقة، دائمة التشبث برأيها و بشدة، إذا اقتنعت برأي لا تغيره، قد تغضب بسرعة، وتريد دائما أن تترك بصمات و انطباعات لدى غيرها "[135] ومن هنا يظهر لنا أن امرئ القيس كان ذا هدفين من خلال موت أو بالأحرى قتل أبيه، أولا الثأر له من بني أسد، و ثانيا تخليد اسمه، وترك أثاره من خلال التصرفات و المواقف التي أوردها، بعد قتل أبيه أي عزمه على أن لا يأكل، ولا يشرب الخمر حتى يأخذ بكرامة أهله وقبيلته.

و فنون امرئ القيس الغزل و النسيب و الوصف أي وصف الطبيعة، أما نسيبه فهو رقيق، عذب، و امرؤ القيس يحسن تحديث المرأة أي أنه يستطيع أن يؤثر في غيره خاصة في الجنس الآخر، فهو كثير الميول إليه ربما بسبب النعيم و الترف اللذين عاش فيهما.

ومن معلقته التي يذكر فيها حبه لابنة عمه " عنيزة " في يوم دار جلجل ومطلعها :

قفا تبك من ذكرى حبيب ومـنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ثم يذكر امرؤ القيس يوم دارة جلجل بعدئذ يخلص إلى وصف الليل والحصان

ألا رب يوم لك منهن صالح و لا سيـما يـوم بدارة جلجل

ويوم دخلت الخدر خرر عنيزة فقالت، لك الويلات أنك مرجلـــي

تقول و قد مال الغبيط بنا مــعا عقرت بعيري يامرؤ القيس فانزل فقلت لها

سيري و أرخى زمــامه ولا تبعدني من جناك المــعلل أ فاطم، مهلا بعض هذا

التدلــل و إن كنت قد أزمعت صرمي فاحملي"[136]

وهذه بعض أبيات شعرية لقصيدة امرئ القيس تتحدث عن قصة أو بالأحرى حادثة، وقعت بين الشاعر و ابنة عمه عنيزة بدار جلجل حين اضطرت " عنيزة " إلى أن تركب مع امرئ القيس على بعيرها، بعد أن وقعت حادثة " الثياب " ومن هنا تظهر لنا أن شخصية امرئ القيس مقسمة بين الجد و التصلب ، والمرح و الهزل، أي أنه ذو انطباع متعدد و مختلف بحسب الحال والموقف الذي هو بصدده، و الدليل على ذلك أنه أصر على أن يركب مع عنيزة رغم رفضها ،فأصر مجددا، ووجد حيلة لذلك ففعل و صدق الفعل.

- أما إذا رجعنا إلى حادثة أبيه فنجد أن" امرئ القيس قصد ديار بكر وتغلب، و عليه عماه شرجبيل و سلمة فسألهما معا ونته على الأخذ بثأر أبيه من بني أسد ، فحشدوا له جموعا فندر بهم بنو أسد ، فلحقوا بديار بني كنانة ، غير أن بني أسد رؤوا ألا طاقة لبني كنانة بحمايتهم " [137] أي أنهم خافوا من غدر وهجمة امرئ القيس عليهم، ومع من يرافقونه " فتسللوا و ذهبوا على وجوههم ليلا ، دون علم بني كنانة فأقبل امرؤ القيس في كتائبه، فوضع السيف في كنانة و هو يحسبهم بني أسد ..... و سار متتبعا أثار بني أسد جادا في طلبهم حتى أدركهم على بعض المياه، فأوقع بهم، و أنكى بهم حيث حجز بينه وبينهم ففروا تحت الظلام فلما أصبح، طلبهم في مكانهم فلم يجد لهم أثر فثار به الغضب و أسف على فوتهم وجعل يقول:

ألا يا لهف هند إثر قودم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

و قاهم جدهم ببني أبيهم و بالأشقين ما كان العقاب

و أفلتهن علباء حريضا و لو أدركته صفرالوطاب "

و هنا تظهر لنا شخصية امرئ القيس على أنها قوية و لها طابع الإصرار، و التعند على شيء ما ،خاصة إذا تعلق بأمر أهله و قبيلته ، و هنا ندرج شخصيته ضمن الشخصيات التي وصفها أحد علماء النفس الحديث بالشخصية المسيطرة " و يتسم أصحابها بقوة الإرادة و يسعى صاحبها إلى السيطرة و إصدار الأوامر، و عكسها الشخصية الخاضعة"[138] وهي غالبا ما تكون ضعيفة.

---

2): مامون ،صالح،شخصية،بناؤها،انماطها،اضطراباتها،المرجع السابق،ص 10.

3): عمر فروخ،تاريخ الادب العربي،دار العلم للملايين،ج1.ط 2. 1992.ص 118.

1): ديوان امرؤ القيس،دار المكتبة العلمية،، دار المكتبة العلمية ، ط 05 ، 2004 ، بيروت ، لبنان ، ص 10 ، ص 11.

2): عبد المنعم الميلادي ، الشخصية و سماتها ، المرجع السابق ص (45)

و تمكن سيطرة امرئ القيس في هذا الموقف في جمعه لبعض أهل القبائل الأخرى، لمساعدته على الثأر، أما بالنسبة لقوة إرادته فتمكن في الأبيات التي أنشدها تأسفا على فوات قتل أعدائه من بنـــــي أسد أي أنه لم يفقد الأمل بعد لقتلهم.

و إلى هذا الحد و الطرح الموجز لبعض مواقف و تجارب امرئ القيس التي توحي لنا ببعض الأشياء عن نفسيته و شخصيته، نجد أن " قصة حياة هذا الشاعر الذي أطلق عليه اسم الملك الظليل لأنه لم يستقر في ملك أبيه، وتجول في البلاد و قد شك بعض الباحثين في هذه القصة جميعا، و شك آخرون في هذه الشخصية نفسها و عدوها شخصية وهمية، أو من بدع خيال الرواة و قابلوها بشخصية هوميروس الشاعر اليوناني القديم الذي وجد أيضا من يشك في حياته، و صحة ما نسب إليه من الشعر القديم "[139] إضافة إلى ذلك توحي لنا فكرة و قصة أن امرئ القيس لم يستقر في ملك أبيه الملك هذا دليل واضح على أن نفسيته لم تستقر على شيء واحد أو نمط واحد ، أو أسلوب حياة واحدة، و الدليل على ذلك هي تلك الدواوين الشعرية التي كتبها و التي تتنوع بين الوصف ، و الغزل ، و الهيجاء لأعدائه ، و الرثاء لأبيه ، و المدح ، و تغزله بالنساء ..... الخ.

2- دراسة نفسية لشخصية الشاعر " بشار بن برد " :

و مما جاء في نص رسالة الغفران عن بشار بن برد أنه " يطلع فيرى إبليس لعنه الله، و هو يضطرب في الأغلال و السلاسل، و مقامع الحديد تأخذه من أيدي الربانية فيقول: الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله، وعدو أوليائه، لقد أهلكت من بني آدم طوائف لا يعلم عددها إلا الله، فيقول: " من الرجل؟ " فيقول: أنا فلان بن فلان من أهل حلب، كانت صناعتي الأدب، فيقول إبليس: " فما فعل بشار بن برد فإن له عندي بدا ليست لغيره من ولد آدم كان يفضلني دون الشعراء و هو القائل:

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتبينوا يل معشر الأشرار
النار عنصره و آدم طينة و الطين لا يسموسمو النار" [140]

ومن خلال هذين البيتين يتبين أن بشار بن برد ذو عقيدة مضطربة، لأن نفسه تفضل إبليس على بني آدم من البشر " فبصمته واضحة في الشعر العباسي، لا يستطاع إغفالها حين التحدث عن روع المغامرة و الجرأة، و لا يغفل إذا كان الحديث عن التمرد الإبداعي و التجديد و الأصالة في الشعر ، أنه مقترن في أذهان الكثيرين بالشك، و الحيرة و العقيدة المضطربة ، و التهتك الخلقي و أن نظرتنا إلى مجموع ما اشتهر به تؤكد لنا تميزه و تؤكد أنه كان يضخ بالحياة و بالاغتراب " [141] معنى ذلك أن القصائد الشعرية المنسوبة لبشار بن برد كانت ذات نزعتين.

- الأولى مملوءة بالحياة جراء الاغتراب الذي لمس حياته ككل.
- الثانية كانت تمس عقيدته و مبادئه حيث لوحظ فيه الكثير من الشك إذن " هو بشار بن برد المتوفي سنة 127هـ بن يرجوخ العقيلي بالولاء، كنيته المرعث لأنه كان في أذنيه راعثة أي قرط، أصل أبيه من فرس من سبى الملهب بن أبي صفرة ولد بالبصرة، و نشأ مولعا بالاختلاف إلى الأعراب المخيمين ببادية البصرة، حتى شب فصيح اللسان، صحيح البيان من اللكنة و الخطأ " [142] وهنا نكتشف أن طفولة بشار بن برد كانت طفولة سوية.

الدليل على ذلك وانفتاحها على الآخرين من الأعراب الموجودين بالبادية، رغم أنه كان فارسي الأصل إلا أنه اندمج و تلاحمت حياته بحياتهم، وهي شخصية من شخصيات تقبل الآخرين " [143]نعني

---

1): محمد زغلول سلام، مدخل إلي الشعر الجاهلي ،المرجع السابق،ص193
2): أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ،المرجع السابق، ص 34
1): كاميليا عبد الفتاح ، الشعر العربي القديم ، المرجع السابق ، ص 39
2): أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، المرجع السابق، ص45
3): مأمون صالح ، الشخصية بناؤها ، تكوينها ، أنماطها ، اضطراباتها ، المرجع السابق، ص9

بذلك أن الشخصية السوية لديها استعدادات أن تخرج من التقوقع و تتفاعل مع الآخرين، و لكن هذا الرأي لا يطلق على حياة بشار بن برد ككل بل على طفولته و طريقته في التعامل في فترة صباه.

و بالمقابل " و عندما بلغ مبلغ الرجال انتجع الخلفاء و الأمراء بالمدح، وكان يعيش في ظلال الشعر، وراع النفس، رغد العيش لولا تعديه بالهجاء و تعرضه للنساء، و هتكه ستر الحشمة، حتى نقم الناس ذلك منه، و تمنوا موته صونا للعذارى، قال مالك بن دينار " ما شب أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أسعار هذا الأعمى الملحد" [144] وهنا في هذا الموقف يتضح لنا أن شخصية بشار بن برد غير سوية، أي غير متزنة لأنه كان يعيش في ترف و رفاهية في ظلال الملوك، يأكل و يشرب و يستمتع بما أوتي إليه، و لكنه بين الحين و الحين بدأ يهجوا الآخرين، و يتعرض للنساء بل ووصل به الأمر إلى هتك الحشمة و هذا ما جعل الناس و الذين من حوله ينفرون منه و يتمنون موته. و هنا بالضبط نستطيع أن نقيس عليه بالمفاهيم الحديثة المتعلقة بالشخصيات، الشخصية النافرة حيث " يتسم أصحابها بالرغبة في استغلال الآخرين، و السعي وراء تحقيق مصالحهم الشخصية بغض النظر عن مصالح الآخرين، وهم يميلون عادة إلى العدوان و المنافسة " [145] ، و هذا بهدف إبراز ذاو تهم بين الآخرين للفت الانتباه أو ما شابه ذلك.

أما إذا تحدثنا عن الشخصية البيولوجية لبشار بن برد و التي كانت لها علاقة بحياته الاجتماعية و النفسية، فهو حسب الدراسات و البحوث الأدبية و التاريخية " كان ضخم الجثة، مفرط الطول، الوجه، جاحظ العينين قد تغشاهما لحم أحمر، كان أقبح الناس، أعمى، و أفضعهم منظرا، قالت له امرأة يوما: لا ادري لم يهابك الناس على قبح صورتك ؟ فأجابها: ليس من حسنه يهاب الأسد و دخل عليه أحد الأدباء يوما، وهو نائم في دهليزة كأنه جاموس فقال له: يا أبا معاذ من القائل:

إن في بردي جسما ناحلا لو توكأت عليه لا نهدم

قال: أنا، قال من القائل أيضا

في خليتي جسم فتى ناحل لو هبت الريح به طاحا

قال: أنا، قال: ما حملك على هذا الكذب ؟ و الله إني لا أدري أن لو بعث الله الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حركتك من موضعك " [146] و هنا يستحضرنا رأي و قول الدكتور خلف عبد الله دينات في نقد الشخصية العربية حين قال: " إن أكثر السمات التي تطبع سلوك الإنسان العربي و تميزه عن غيره من الشعوب هي الكذب ، و هذا لا يعني أن العربي ينفرد وحده بهذه الخاصية دون غيره من الأجناس ، إلا أنه أكثر استخداما " [147] و في هذه الحالة نستنتج و نكتشف أن بشار بن برد كان يكذب في بعض الأحيان لسببين اثنين:

أولا: لصورته البيولوجية الفظيعة و القبيحة، فيصب غضبه و عدم رضاه بحالته هذه في تصرفات و أقوال كاذبة.

ثانيا: لجلب الانتباه و التباهي أمام الآخرين رغم حالته السيئة.

إضافة إلى ذلك يجمع الرواة على " أنه رأس الشعراء المحدثين و زعيم المولدين و هو أشبه بواسطة العقد بين الشعراء الفحول في العصر الأموي، و شعراء العصر العباسي قاطبة.

ضمن غزله الماجن قوله:

ما مطر حسنا رأسه من وجه جارية فديته
بعثت إلى تومني ثوب الشباب و قد طويته
والله رب محمد ما إن غدرت و لا نوبته
أمسكت عنك وربما عرض البلاء وما ابتغيته
ان الخليقة قد ابى و إذا أبى شيئـــا أبيته

---

4): احمد حسن الزيات تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 46.
5): عبد المنعم الميلادي، الشخصية و سماتها، المرجع السابق، ص (44).

1): أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي المرجع السابق، ص 45.
2): خلف عبد الله، نقد الشخصية العربية، مجد لاوي للنشر و التوزيع، ط1 الأردن، ص 74.

و مخضب رخص ألبنا ن لكي علي ومـا بكيته
ويشوقني بيت الحبي ب إذ أدركت و أين بيته ؟
قــام الخليفـة دونــه فصبرته عنه، وما قلته
و نهاني الملك ألهما م عن النساء وما عصيته
لا، بل وفيت، فما أضع عهدا و لا نأيا رأيته " [148]

فمن خلال هذه الأبيات الشعرية يتضح لنا أن " الأحداث التي اعترضته حين نهاه الخليفة عن الغزل و التشبيب و النسيب بالنساء و كيف كان يتوب ثم يعود حين يتغلب، فالقصيدة من هذه الناحية تعتبر مصدرا لفن بشار و مرجعا نعتمد عليه حين نريد أن نسجل نفسيته و حياته الخاصة [149]. و في هذه الحالة نستطيع أن نسقط أو أن نقيس عليه شخصيتين ، شخصية المتردد و شخصية المتسرع المندفع.

فالأولى تتمثل في توبته و العدول عنها بعد حين ، أما الثانية فتتمثل في مجونه المفرط ، ونسيبه بالنساء رغم أن الخليفة نهاه عن ذلك " فالشخص المتردد هو كثير التردد في حـــــــــديثه و سلوكه ، يكره البت في الأمور و إيجاد قرارات بنفسه يثور بسرعة ، و لا يستقر على رأي ، أما الشخص المتسرع المندفع دائما يتعجل في حديثه و أفعاله يقاطعك و أنت تتحدث معه و لا يترك لك فرصة الكلام ، قلق الشعور قد يوافقك على رأي لك ، ثم يعدل عنه بسرعة " وهذا ما عمدناه في نفسية بشار بن برد.

و من جهة أخرى نجد أن حياة بشار كانت فيها عدة مفارقات حيث " أنه من جنس فارسي و يعيش في مجتمع عربي و لذلك لم يسلم من غم المجتمع و سخريته و التشكيك في نسبه و هويته أو على الأقل التشكيك في محاسن قصائده " [150]و هذا طبيعي و من قبيل العادة أن أي المجتمع يكون الدخيل فيه مهمشا و مشككا فيه، بالإضافة إلى ذلك نجد أن بشار بن برد و هذا من خلال دواوينه أنه كان يعشق الحياة التلقائية العفوية، هذه الحياة التي كان يرفضها المجتمع و يجاهدها بأعرابه وكان انتهاجه لهذا النهج من عوامل اضطهاده " و هذا ما غرس في نفسيته تلك النزعة الهجائية.

ومن أشعار و أخبار هذا الشاعر نجد أشعارا عديدة مع امرأة اسمها " عبدة " منها قوله:

" يزهدني في حب عبدة معشر قلوبهـــم فيهـــا مخالفـة قلبـــي
فقلت دعوا قلبي و ما اختار و ارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى و لا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا و ألف بين العشق و العاشق الصب"

و في هذا الموضوع نستطيع أن نسقط عليه شخصية متصلبة برأيها و هي دون عقلية مغلقة متمسكة برأيها و نلمح فيها نزعة التعند ، بالإضافة إلى أنه آمين بحب " عبدة " دون الآخرين من حوله ، و كأنه اكتسب تلك الثقة القوية التي تؤمن بها نفسيته.

-3- دراسة نفسية لشخصية الشاعر " عنترة " :

لقد جاء في نص " رسالة الغفران " عن الشاعر عنترة بن شداد " .... وينظر، فإذا عنترة متلذذ في السعير ، فيقول: مالك يا أخا عبس ؟ كأنك لم تنطلق بقولك

و لقد شربت من المدامة، بعدما ركد الهوا جر ، بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر ، في الشمال مفدم

---

1): حامد حنفي داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ديوان المطبوعات، ط 02، بن عكنون ، الجزائر ، 1993 ، ص (118) ص (119

2): حامد حنفي داوود تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول المرجع السابق ، ص (20).

) عبد المنعم الميلادي ، الشخصية و سماتها ، مؤسسة شباب الجامعة ، ص (40).**150**

و إني إن ذكرت قولك: هل غادر الشعراء من متردم " [151] الشاعر عنترة بن شداد الملقب " بشاعر الفرسان " ولد عام 525ه فهو "من قبيلة عبس إحدى قبائل مضر، و كان هو و قومه يسكنون نجدا، و كانت أمه أمة حبشية سوداء اسمها " زبيبة " سباها أبوه في إحدى غزواته فأولدها عنترة و كانت عادة العرب أن تستعبد أولاد الإماء أي تتخذهم عبيدا لا أولادا، إلا إذا أتوا بأعمال عظيمة، فحينئذ يعترفون ببنوتهم " [152] أي أن عنترة الشاعر تربى بل و نشأ في مجتمع غير متزن أو بالمصطلح الحديث غير سوي و الأكثر من ذلك أنه نما و كبر و هو " عبد ". و نحن نعرف أن العبد في ذلك الوقت و في تلك الحالة لا حقوق له و لا رحمة يتلقاها من الآخرين خاصة و أنه كان ذو بشرة سوداء.

إضافة إلى ذلك " كان أبوه يستعبده حتى أغار يوما قوم من طيئ على عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلا، فكر عنترة عليهم و استرد الإبل فحرره أبوه و أقر ببنوته، و كان عنترة أسود كأمه و لذلك عد من أغربة العرب و كان يشعر بأن ما فيه من عيب هو سواده تغسله شجاعته و فعاله و في ذلك يقول:

إني امرؤ من خير عبس منصبا شطرى ، و أحمي سائري بالمنصل
و إذا الكتيبة أحجمت و تلاحظت ألفيت خيرا من معم مخول " [153]

ومن خلال هذا الطرح المبسط نكتشف أن عنترة بن شداد كان يعاني من عقدة نفسية ناتجة عن عيب في شخصيته البيولوجية هذا في نظر المجتمع ، أو بالأحرى القبيلة التي تربى و كبر فيها ، فشخصيته القوية ، و نفسيته العالية أبت أن تتأثر بهذا القبح ، أو تلك العقدة و ذلك عن طريق إظهار شجاعته و قوته و بسالته أمام أهله و عرش قبيلته و كأننا نلمس فيه روح التحدي و المثابرة في هذه الحياة التي وجد فيها سوى الغارات و المعارك و سلب الغنائم ، و قطع الطرقات حياة بلا قوانين.

ومن الأبيات التي أنشدها " والتي تمتاز بالمدح و الشجاعة و صفات البدو من كرم و مروءة و التغني بمواقفه في الحرب تغزل فيها بعبلة و حاول أن يسترضيها بوقائعه و مشاهده إذ عجز أن يسترضيها بجمال لونه ، و كرم محتد من ناحية أمه:

إن تغد في دوني القناع فإنني طب بأخذ الفارس المستلم
أثني علي بما علمت فإنني سمح مخالفتي إذا لم أظلم
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم "

و هنا نكتشف أن شخصية عنترة بن شداد من الشخصيات التي تعترف بالواقع و لكن في نفس تتحداه لتفرض نفسها، بالمقابل نجده " ذو شخصية سوية تتعامل مع الواقع كما هو تواجهه على حقيقته " [154]. معناه أنه لم يرفض نفسيا على أنه أسود البشرة، و أن كل أفراد قبيلته ينفرون منه لذلك، حتى عبلة التي كان يحبها تجاوزته لذلك، و يكن رغم ذلك مدح حبه في الأبيات الشعرية السابقة بالإضافة إلى أنه أبرز و أظهر شجاعته و قوته رغم ما يعانيه.16

و في موضع آخر كان عمارة بن زياد العبسي يحسد عنترة و يقول لقومه: إنكم أكثرتم ذكره، و الله لوددت أن لقيته خاليا حتى أعلمكم أنه عبد و كان عمارة جوادا كثير الإبل منيعا لماله مع جوده، و كان عنترة لا يكاد يمسك إبلا ، يعطيها إخوته و يقسمها فبلغه قول عمارة ، فقال في ذلك يهجوه:

أحولي تنفض أستك مذويها لتقتلني فها أنا ذا عمارا
متى ما تلقيني فردين ترجف روانف اليتيك و تستطار
و سيفي صارم قبضت عليه أشاجع لا ترى فيها انتشار " [155]

---

1): أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران " ، المرجع السابق، ص 16
2): مصطفى السيوفي ، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي ، الدار الدولية للاستثمارات ، ط 01 الثقافية ش. م. م.
3): المرجع نفسه (177).

1): مأمون صالح ، الشخصية ، بناؤها ، تكوينها ، أنماطها ، اضطراباتها ، المرجع السابق ، ص (09
2): عنترة بن شداد ، ديوان عنترة ، دار صادر للطباعة و النشر ، ط (02) ، بيروت ، لبنان ، 2005 ، ص (43

ففي هذه الحالة نجد أن عنترة بن الشداد ذو شخصية إيجابية تتسم بأنها " تمتاز بالتعاون مع الآخرين و الرغبة في التفاعل معهم و هم رغبوا البحث عن الأصدقاء " [156]ومن خلال التمعن و التدبر في الأبيات الثلاثة السابقة يتضح لنا أن عنترة بن شداد الشاعر المغوار ، الشجاع ، المقدام في الحروب هو ذو نزعة عاطفية شعورية خفية. فهو يقسم و يعطي كل ما يتحصل عليه من الغنائم لإخوته و أهله رغم ما كن يعانيه منهم جراء البشرة السوداء الملازمة له ، و بالمقابل نجده يرد على قول عمارة بن زياد العبسي و يقول له: ها أنا موجود و تعالى تقتلني و هذا جراء غضبه و إنكاره لما قاله زياد على أنه عبد لا غير ، أي لا تقيموا أو بالأحرى لا تضعوا له أي قيمة بشرية إنســـانية.

هذا إضافة إلى أنه" كان كثيرا ما يتغنى في شعره بمكارم الأخلاق كقوله:

ولقد أبيت على الطوى و أظله حتى أنال به كريم المأكل

و قوله:

و أغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها " [157]

و هذا دليل على أنه ذو شخصية قوية و متزنة حيث أنه قوي و شجاع في مواقع المعارك و الغارات بين القبائل و هو في نفس الوقت ذو شخصية حساسة و كذا كريمة و معطاءة في مواقع الخير و مساعدة الآخرين، بالإضافة إلى ذلك أنه كان يتسم بمكارم الأخلاق. و الدليل على ذلك هو ما قاله في بيته الشعري السابق عندما غض بصره عن مشاهدة جارته حتى اختفت و توارت عن أنظاره.

4- دراسة نفسية لشخصية الشاعر" الأعشى بن قيس ":

جاء في نص رسالة الغفران عن الأعشى قوله: " فيهتف هاتف أتشعر أيها العبد ، المغفور له ، لمن هذا الشعر ؟ فيقول الشيخ: " نعم حدثنا أهل ثقتنا ، عن أهل ثقتهم أن هذا الشعر لميمون بن قيس بن جندل، فيقول الهاتف: أنا ذلك الرجل من الله علي بعدما صرت من جهنم على شفير، و يئست من المغفرة.."[158]إذن هو الأعشى " و هو ميمون بن قيس من قبيلة بكر بن وائل و سمي أعشى قيس تميزا له عن آخرين سموا هذا الاسم ، و سمي الأعشى لضعف بصره و كان يسمى صناجة العرب لتغنيهم بشعره و كان من أهل اليمامة من قرية يقال لها " منفوحة " و لكنه جاب جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها يمدح ملوكها و أمراءها كما يقول:

قد جبت ما بين بانقيا إلى عدن و طال في العجم ترددي و تسياري[159]

و هذا دليل على أنه لقي مواقف و عاش تجارب و أحداث أثناء حياته، و هذا ما جعله كثير المعارف وواسع الثقافة.

و لقد سمع بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم " فضرع في مدحه قصيدة، و عزل الرحلة إليه بالحجاز فأوجس القرشيون خيفة في إسلامه، و قال لهم أبو سفيان: و الله لو أتى محمدا أو اتبعه ليضر من عليكم نيران العرب بشعره، فاجمعوا له مائة في الإبل ففعلوا، و أخذها الأعشى و رجع ، حتى إذا دنا من اليمامة سقط من فوق ناقته فدقت عنقه (هذا في أغلب الروايات)" [160]فقريش آنذاك نظروا إليه نظرة سلبية خوفا منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و بهذا يوحي لنا أن الشاعر الأعشى كان ذو نزعة انفتاحية أي بمعنى أنه كان ذو نفسية و شخصية مقبلة على الآخرين، و الدليل على ذلك أنه عندما علم بأمر سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم هبت نفسه لملاقاته، و هذه النفسية " تتسم بالإقبال على الآخرين و تصديقهم ، و التغاضي عن أخطاء الآخرين ، و

---

1): عبد المنعم الميلادي ، الشخصية و سماتها ، المرجع السابق، ص (44).
2): مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي ، المرجع السابق ، ص (178).
3): أبو العلاء المعري ، " رسالة الغفران " المرجع السابق،ص 60
1): مصطفى السيوفي ، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي ، المرجع السابق ص (196
2): أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، المرجع السابق، ص (20).

عكسها الشخصية الرافضة للآخرين " [161] ، و عرف بالأعشى الكبير تميزا له عن سائر العشو من الشعراء ، " و قد شاء معاصروه إعجابا بقوة بصيرته ، و تلطف مخاطبته أن يكنوه كأبي بصير " [162] أي أنه له علم و حكمة في مسايرة الأحداث ، و لطف و لباقة في مخاطبته للآخرين.

ومن الأبيات و القصائد المشهورة و التي اشتهر بها الأعشى و التي انتقل فيها الغزل إلى الوصف إلى التهديد على ألطف أسلوب قرأها عبيدة على أبي عمرو ابن العلاء و قال فيها: " لم تقل قصيدة في الجاهلية على رويها مثلها ".ومن أبياتها في وداع هريرة:

"ودع هريرة إن الركب مرتجل و هل تطيق وداعا ، أيها الرجل
غرا، فرعا، مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل
كأن مشيتهـا من بيت جارتهـا مر السحابة ، لا ريث و لا عجل
تسمع للحلي و سواسا إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل " [163]

و إن لم نتطرق كثيرا إلى شخصية الأعشى " الشاعر " و نقدها ، و هذا لعدم تواجد مراجع و ملفات توثيقية تظهر لنا تجارب هذا الشاعر و تبرز لنا ما يحبه وما لا يحبه خاصة من الجانب النفسي.

-5- دراسة نفسية لشخصية الشاعر " الحطيئة ":

و قد جاء في نص رسالة الغفران لأبي العلاء المعري " والله ما وصلت إليه إلا بعد هياط و مياط ، و عرق من شقاء ، و شفاعة من قريش وددت أنها لم تكن فيقول: من أنت ؟ فيقول: أنا الحطيئة العبسي فيقول: بما وصلت إلى الشفاعة ؟ فيقول: بالصدق، فيقول: في أي شيء ، فيقول: في قولي:

أبت شفتاي اليوم ألا تكلما بهجر ، فلا أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجها شوه الله خلقه فقبح من وجه ، و قبح حامله " [164]

فهذا الشاعر هو جرول بن أوس و كنيته أبو مليكة و لقب الحطيئة لقربه من الأرض... كان ذا شر و سفه ، مضطرب النسب و سبب ذلك الاضطراب هو عدم معرفة انتسابه لأوس العبسي أم للأفقم الذهلي،و قد عبر عن حيرته هذه بقوله:

" تقول لي الضراء لست لواحد و لا اثنين فانظر كيف شر أولئك
و أنت امرؤ تبغي أبا قد ضللته هالت ألما تسشفق من ضلالك " [165]

و معنى ذلك أن طفولة الحطيئة نشأت نشوءا مضطربا و هذا حتما سينعكس على حياته النفسية، السيكولوجية. بالإضافة إلى ذلك " كان ينتسب إلى أحد الرجلين يحدوه الطمع في مغنم مادي أوأدبي فإذا لم ينل ما يريد عدل إلى غيره ، مستبدلا قبيلة بقبيلة و عشيرة بعشيرة ، و مع الإقبال و الرضا ثناء و مديح ، و مع الإدبار و السخط هجاء صريح فإذا أقبل على بني عوف بن عمرو رهط الأفقم قال:

قومي بنو عوف بن عم رو إن أرادا العلم عالم
قوم إذا ذهبت خضا رم منهم خلفت خضارم
لا يفشلون و لا تبي ت على ألوفهم الخواطم

و إذا أدبر عنهم قال:

تمنيت بكرا أن تكون عمارتي وقوني و بكر شر تلك القبائل
إذا قلت بكرى نبوتم بحاجتي فيا ليتني من غير بكر بن وائل " [166]

---

3): عبد المنعم الميلادي ، الشخصية و سماتها ، المرجع السابق، ص (45).
4): فؤاد أفرام البتاني ،المجاني الحديثة، المطبعة الكاثوليكية ، ج 1 ،ط2 ، بيروت، ص255
5): المرجع نفسه، ص 225

1): أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، موفم للنشر ، 1989 ، الجزائر ، ص (58)
2): محمد عبد العزيز الكفراوي ، تاريخ الشم العربي في صدر الإسلام و عصر بني أمية ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر ، المجلد 01 ، القاهرة ، ص (63)
3) المرجع نفسه ، ص (63)

و في هذه الحالة نستطيع أن نقيس على شخصية و نفسية الحطيئة أنه ذو شخصية متشككة ، انقلابية و هذه الشخصية " تنتقدك دون مناسبة ، لا تأخذ أقوالك كقضية مسلم بها لا تثق في الآخرين تبدو غير لبقة من الأحيان... استفساراتها كثيرة و متكررة" [167] ، أي أنها تنقلب من حال إلى حال وفق الأمور و الأشياء التي ترضيها.

و هذا ما عهدناه عن الحطيئة يهجو من منع عنه ، و يمدح من أعطاه و " كان شحيحا ، و يروون في ذلك أن رجلا ألقى عليه السلام فقال في جوابه و قد رفع عصاه: عجراء من سلم ، إنما أنا ضيف فأجاب للضيوف : أعددتها و كان مع ذلك ملحفا في سؤاله، و قصصه في هذا الصدد لكثيرة... و كان مخوف اللسان فقد نزل المدينة و الناس في سنة مجدبة و سخطة من الخليفة، فمشى بعضهم إلى بعض حتى جمعوا له أربعمائة درهم، و ظنوا أنهم بذلك سيبلغون رضاه، فأخذها ثم طلب منهم مزيدا " [168] و هنا تظهر عليه تلك النزعة التي ملؤها الطمع و الاستغلال ، و كذا التكبر. " و الشخصية المتكبرة تتصف أصحابها بالثقة الزائدة في النفس حسب التظاهر و التعالي على الآخرين و الله لا يحب الرجل المتكبر و في المقابل هناك الشخصية المتواضعة " [169]. فالحطيئة تعامل في حياته بهذا المبدأ ربما انعكاسا لما لقيه من معاناة و اضطرا بات نفسية في حياته جراء تضارب نسبه.

-6- دراسة نفسية لشخصية الشاعر " الشنفرى الأزدي ":

لقد جاء في نص رسالة الغفران لأبي العلاء المعري " ويسأل عن الشنفرى الأزدي فيلقيه " قليل التشكي " و التأقلم لما هو فيه فيقول: إني أراك قلقا مثل قلق أصحابك فيقول: أجل إني قلت بيتا في دار الخادعة فأنا أتأدب به و ذلك قولي:

غوى و غوت ثم ارعوى بعد وارعوت و للقبر إن لم ينفع الشكو، أجمل

و إذا هو قرين مع تأبط شرا كما كان في الدنيا الغرارة " [170]

إذن هو شاعر من أبرز الشعراء في العصر الجاهلي " و هو شاعر صعلوك يمني الأصل من بني أواس من الأزد ، ضرب به المثل في سرعة الركض و مدى القفز ، قيل كانت الخيل لا تلحقه و قيل: قيست نزوة من نزواته (قفزة) فوجدت واحدة و عشرين خطوة و كان يغزو وحده على رجليه أو في نفر من الصعاليك أمثاله كما ضرب به المثل في الحذق و الدهاء [171]. و هذا دليل على أن شخصيته البيولوجية كانت قوية و هذا ينعكس حتما على نفسيته و كذا شخصيته ككل. و يقال " أنه أسر على يد أسد بن جابر من بني قيس بن عيلان من عرب الشمال. و كان صغيرا فنشأ بينهم كأنه واحد منهم و قيل أنه أقسم أن يقتل مائة من بني فهم عندما عرف قصة أسره واستعادهم له ، فقتل منهم تسعة و تسعين ثم قتل، فمر رجل رفسه برجله احتقارا له ، فقيل أن شظية من عظامه المتناثرة دخلت في جل الرجل الفهمي فمات متأثرا بالجرح الذي أحدثه فتم بذلك مائة قتيل من بني فهم " [172] و هذا دليل على قوة شخصيته و أنه ذو طابع عنيد.

---

1): عبد المنعم الميلادي ، الشخصية وسماتها ، مؤسسة شباب الجامعة ، ص (44)
2): عبد العزيز الكفراوي، تاريخ الشعر العربي، المرجع السابق، ص 64
3): عبد المنعم الميلادي ، الشخصية وسماتها، المرجع السابق، ص (45)
4): أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، المرجع السابق، ص 60

1): يوسف عطا الطريفي ، شعراء العرب في العصر الجاهلي ، الأهلية للنشر و التوزيع ، ط 01 ، الأردن ، 2006 ، ص (117).
2): المرجع نفسه، ص 117.

و من القصائد التي ذاع صيتها و اشتهرت بتعدد و كثرة مواضيعها و التي تتحدث كلها حول شخصية الشنفرى هي قصيدة " لامية العرب "
ففي الأبيات الأربعة الأولى تحدث فيها عن ميله عن قومه في قوله:

" أقيموا بني أمي، صدور مطيكم فإني إلى قوم يسواكم، لأميل
فقد حمت الحاجات، و الليل مقمر و شدت لطيات مطايا و أرحل
و في الأرض منأى للكريم عن الأذى و فيها لمن خاف القلى ، متعزل
لعمرك، ما بالأرض ضيق على أمري سري راغبا وراهبا و هو يعقل" [173]

و نستطيع من خلال هذه الأبيات أن نقيس على شخصية الشنفرى أنها شخصية سلبية بالمصطلح الحديث و كذا بالمفهوم المتداول حاليا لأنها تتميز و تميل إلى الانعزال و التوحد و لربما كان السبب في ذلك سوء معاملة أهل قبيلته له، فحدث هناك رد فعل أو بمفهوم آخر حدثت علاقة المثير و الاستجابة، و بالمقابل نجد أن الشخصية السلبية " يتصف أصحابها بالاستقلالية فهم يتجنبون الاتصال بالآخرين " [174] و يتم ذلك لأسباب معينة مثل ما حدث مع الشنفرى . وفي حديثه عن صبره قال:

" فإما تريني كابنة الرمل ، ضاحيا على رقة ، أحفى و لا أتنعل
فإني لمولى الصبر، أجتاب بزه على مثل قلب السمع و الحزم أنعل
و أعدم أحيانا، و أغنى و إنمـــا ينال الغني ذو البعدة المتبذل " [175]

و في هذه الحالة نستطيع أن نقول أن الشنفرى له روح الإرادة و المواصلة في الدرب ، و الدليل على ذلك صبره و تحمله للجوع و الفقر دون الخضوع للآخرين، و هي شخصية يمكن تصنيفها ضمن الشخصيات المسيطرة.

7- دراسة نفسية لشخصية الشاعر " زهير ابن أبي سلمى ":

لقد جاء في نص رسالة الغفران قوله: "... و ينظر الشيخ في رياض الجنة فيرى قصرين منيفين فيقول في نفسه: لأبلغن إلى هذين القصرين فأنظر لمن هما ، فإذا قرب منهما رأى على أحدهما مكتوبا هذا القصر لزهير بن أبي سلمى المزني، و على الآخر: هذا القصر لعبيد بن الأبرص الأسدي ، فيعجب من ذلك و يقول: هذان ماتا من الجاهلية، و لكن رحمة ربنا وسعت كل شيء و سوف ألتمس لقاءهما فأسألهما بم غفر لهما " [176] إذن هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح بن عوام بن قرط بن الحارث بن مازن من مزينة بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن لاطم... بن مضر.

ولد بنجد سنة (530 م) " أخذ الشعر و الحكمة عن بشامة خال أبيه الذي لزمه زهير و حفظ له، و اتخذ طريقة زوج أمه أوس بن حجر في الشعر و انقطع لهرم بن سنان، فمدحه و تغنى بكرمه و توسطه بالصلح بين عبس و ذبيان في حرب السباق فأنعم عليه بالعطايا. توفي زهير سنة (627 م) و كان عمره نحو (97) سنة قضاها في الحكمة داعيا إلى الخير و الصلاح منصرفا إلى الحق، يكره الحرب و يدعوا إلى التعالي عن الأحقاد" [177] و هذا دليل على أن الشاعر " زهير ابن أبي سلمى " ذو شخصية متزنة و

---

3): :فؤاد فرام البتاني ، المجاني الحديثة ، المرجع السابق، ص (05).
4): عبد المنعم الميلادي ، الشخصية وسماتها ، المرجع السابق ص (44)

1): فؤاد آفرام البتاني ، المجاني الحديثة، المرجع السابق، ص (10
2): أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، المرجع السابق ، ص (33)
3): يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر الجاهلي، المرجع السابق، ص 228
4): مأمون صالح الشخصية، بناؤها، تكوينها، انماطها، اضطرباتها، المرجع السابق، ص09

سوية لأن المعروف عن هذه الشخصية أنها تسعى إلى الخير، و الصلاح، و فعل ما هو في فائدة الآخرين و تمتاز بالأخلاق الحسنة.

و على هذا الأساس يمكن لنا أن نقيس عليه بالمصطلح أو المفهوم التشخيصي الحديث شخصية إيجابية التي تؤدي بصاحبها إلى الشعور بالثقة " فالشخصية السوية تنظر إلى ذاتها نظرة إيجابية بغض النظر إلى جوانب القوة و الضعف فيها، و هذا ما يهدف إلى الإحساس بالقيمة الذاتية و المسؤولية أمام تحديات العصر في وقت لا تحتاج فيه حماية الآخرين و الإحساس بالكفاءة عن ممارسة أي عمل يطالب به " [178] و الدليل على أن هذا الشاعر يتحمل مسؤوليته حتى و إن تعلقت بأشعاره فقد كان " يجمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة و قد برع في المديح و في الحكمة خاصة، و غنى بشعره فكان كثير التنقيح و التهذيب حتى قيل أنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشــهر، و ينقحها في أربعة أشهر ثم يعرضها على أصحابه في أربعة أشهر، و لذلك عرفت قصائده بالحوليات [179] و هذا يعني انه كان ذا نزعة تريثية، موضوعية أي غير ذاتية، لها أحكام منطقية ملائمة للواقع المعاش.

يروى عن عمر بن الخطاب أنه قال:" أنشدوني لأشعر شعرائكم ، قيل: و من هو ؟ قال زهير ، قيل و بم صار كذلك؟ قال كان لا يعاظل بين القول ، و لا يتتبع حواشي الكلام ، و لا يمدح الرجل إلا بما فيه... " [180] أي أنه كان موضوعي بالمفهوم الحديث.

وفي قوله:

" فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا الى كلإ مســـتوبل متوخـم
لعمري لنعم الحي اجر عليهم بما لا يؤاتيهم حصين بن ضمضم" [181]

فهو في هذاين البيتين يعتذر بناية عن أهل القاتل للقبيلة التي راح ضحية أفرادها هذا القاتل، وهذا يعزز من اطلاقناه على شخصيته و كذا سيوكولوجيته، ومن الحكم و المواعظ التي قالـــــــها و التي إن دلت فإنها تدل على فطنة و تريث هذا الشاعر قوله :

سئمت تكاليف الحياة ، و من يعيش ثمانين حولا، لا أبالك ، يسأل
و أعلم ما في اليوم ، و الامس قبلة و لكنني عن علم ما في غد عمي
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته، ومن تخطئ يعمر فيهرم
و من لا يصانع في أمور كثـيرة يضرس بأنياب، ويوطأ بمنسم [182]

و من خلال هذه الأبيات نكتشف ان شخصية هذا الشاعرجادة و موضوعية فهي " دائـــــما ايجابية ، حاسمة في معالجتها للامور تتحمس دون تعب أو ملل، مـفاوضة

ماهرة، تقدم الاقتراحات باستمرار" [183] أي انها تعرف و ندرك كيفية تلطيف الجو أي موقف كانت

أما فيما يخص ، الجانب العائلي الذي يمس هذا الشاعر ، فعرفنا عنه انه تزوج امراة اسمها ليلى في الأغلب، رزق منها أولادا لكنهم ماتوا كلهم صغارا فطلقها و تزوج كبشة بن عمار بن سحيم ، فرزق منها ولديه منها ولديه كعبا

---

1): مأمون صالح الشخصية، بناؤها، تكوينها، انماطها، اضطرباتها، المرجع السابق، ص09
2): يو.سف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر الجاهلي، المرجع السابق، ص 229
3):المرجع نفسه، ص 228
4): فؤاد أفرام البتاني ن المجاني الحديثة، المرجع السابق ، ص 86.
5): المرجع فقسه ، ص88

1): عبد المنعم الميلادي، الشخصية و سماتها ، المرجع السابق، ص 44.
2): أبو العلاء المعمري ، رسالة الغفران ، المرجع السابق ص39

8- دراسة نفسية لشخصية الشاعر" النابغة الذبياني":

لقد جاء نص رسالة الغفران : و يمضي في نزة تلك فيمر بشابين يتحادثان كل واحد منهما على باب قصر من در، قد أعفى من البؤس و الضر ، فيسلم عليهما و يقول: من أنتما ؟ رحمكما الله- وقد فعل فيقول إذ نحن النابغتان نابغة بني جعدة، و نابغة بني ذنيان ، فيتحادثون جميعا ثم يشتهون مرأى الأعشى فلا تتم الكلمة الا و ابو بصر خمسهم، فيتذاكرون في شعر النابغة الذبياني..... [184]إذا هو الشاعر المعروف النابغة الذبياني ولد في قبيلة ذبيان عاش بين أهله في منازلها المعتادة، وكانت ذ بيان كغيرها من قبائل نجد و الحجاز من مصر تعتاد الذهاب إلى مكة ، موطن الجد الأكبر أو الأجداد الذي يحنون إليه.

اصطحب النابغة أهله في ذهابهم إلى مواسم الحج و الأسواق" ونبغ الفتى شاعرا بعد ذلك ، فتقدم بين أهله و اسلموا إليه الرياسة و جعلوه حكيمهم و سفيرهم بين القبائل و عند الملوك" [185] وهذا إن دل فانه يدل على إن شخصية النابغة الذبياني التي تمتاز بالسيطرة وحب التميز وكبرة معه منذ طفولته.

يقال في علم النفس الحديث أن أفعال و سلوك أي إنسان عامل، هو انعكاس لما تربى عليه في طفولته، وفقا للنمط الذي اتخذه منذ أن كان صغيرا، و لذا نرى أن الطفل في السنوات السبع الأولى إذا كان محببا للتميز فسوف يصبح في المستقبل رجلا محبا و ساعيا للتميز.

بالمقابل نجد و نعرف و هذا عبرما و صلنا من أخبار و قصص حياة هذا الشاعر إن له علاقة بالمناذرة و الغساسنة حيث انه « استغل هذه العلاقة و مكانته بين القبائل العربية في الحجاز و نجد لنفع قبيلته، و الوساطة بينها و بين الملوك او بينها و بين القبائل الأخرى التي كانت تحدث بينها أحداث ووقائع، فيتداركها النابغة بسعيه و مكانته ليرفع كثيرا من الأذى عن أهله و عشيرته"[186] و هذا الموقف من حياته يدل على انه ذو نفس طيبة و في نفس الوقت و شخصية و عقلية فطنة حيث استغل شيئا ايجابيا هو موجود بداخله ليرفع الاذى و الالم عن اهله و عشيرته بالإضافة إلى انه يكتسب شخصية متواضعة التي هي عكس المتكبرة ، وكذا شخصية مقبلة على الآخرين و دليل ذلك هي مكانته المشهورة بين القبائل العربية،

فالشخصية التي ذكرنها أنفا " تتسم بالإقبال على الآخرين، وتصديقهم و التغاضي عن أخطاء الآخرين و عكسها الشخصية الرافضة للآخرين"[187] ومن اشهر مدائح النابغة{ الغسانيات}، ومن أشهر الغسانيات البائية التي نظمها و هي تدول حول مدح " عمرو بن الحرث الأصغر " الذي لجأ إليه النابغة بعدما أن نقم عليه النعمان أبو قابوس و في هذه " البائية تعرض النابغة الذبياني إلى الحديث حول عدة مواضيع سواء متعلقة بنفيسته أو بالملك المذكور الذي لجأ إليه و منه قوله:

"كليني بهم يا اميمة، ناصب و ليل اقاسيه بطئ الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقص و ليس الذي يرعى النجوم باي
و صدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب " [188]

تحدث الشاعر في هذه الأبيات عن همومه أي أنه يشتكي من حاله، بعد أن أساءت العلاقة بينه و بين النعمان و هذا يدل على أن النابغة هو من الذين يتحدثون و يظهرون آلامهم للآخرين أي أنهم لا يستطعون التكتم عما يؤلمهم من حزن أو الم أو هم و هي صفة نفسية اجابية في مجال علم النفس الحديث.

الشخص الذي لديه القدرة على إفراغ ما في جعبته سواء من الم أو أمل بالإضافة إلى أنه يستطيع مواجهة الآخرين هو شخص يكتسب شخصية متزنة و ايجابية في نفس الوقت ، و لا يعاني من أي عقدة نفسية حادة ، بالإضافة إلى انه ذو نظرة مبسطة لهذه الحياة، بالمقابل نجده بعد أن فرع من صب شكواه ،

---

3): محمد زغلول سلام / مدخل الى الشعر الجاهلي ، المرجع السابق ص212
4): المرجع نفسه، ص (213).

1): عبد المنعم الميلادي ، الشخصية و سماتها، المرجع السابق ، ص(45)
2): فؤاد افرام البتاني ، المجاني الحديثة ، المرجع السابق، ص (207)
3): المرجع نفسه.ص207.

اتجه إلى " مدح عمرو و سائر الغساسنة بالكرم و الشجاعة و البطش في الحروب ، و صحة الدين، ورخاء المعيشة ، و لا يغرهم النصر ، يزعزهم الإخفاق " [189] وهذا دليل على أن النابغة يمتلك ميزة او صفة أخرى وهي الإقرار بمكارم و شجاعة الآخرين.

9- دراسة نفسية لشخصية الشاعرة: " الخنساء "

أما فيما يخص شاعرة الرثاء " الخنساء " فقد جاء عنها في نص رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعري قوله:" ...و يمضي فإذا هو بامرأة في أقصى الجنة قريبة من المطلع الى النار فيقول من أنت؟ فتقول: أنا الخنساء السليمية أحببت أن انظر إلى صخر، فاطلعت فرأيته كالجبل الشامخ و النار تضطرم في رأسه فقال لقد صح مزعمك في، يعني قولي:

و أن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار " [190]

هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد، و الخنساء لقب غلب عليها، لقبت به تشبيها لها بالبقرة الوحشية في جمال عينها " خطبها دريد بن الصمت فارس هوازن و سيد بني جشم فردته لكبر سنه فهجها فلم ترد عليه فسئلت بذلك فأجابت: لا أجمع عليه أن أرده و أهجوه "[191]

و هذا دليل على أنها ذو شخصية سيكولوجية حكيمة ومتريثة تعلم و تدرك ما ستفعله، وهذا إن دل فانه يدل على علو أخلاقها و اتزانها " تزوجت أولا رواحة بن عبد العزيز السلمي ..... ثم خلفه رواحة مرداس بن أبي عامر السلمي فولدت له يزيد و معاوية و عمرا و عمرة و لما ظهر الإسلام أسلمت الخنساء مع قومها بني سليم ....فقتل أولادها في وقعة القادسية، فقالت لما بلغها خبر مقتلهما ن الحمد الله الذي شر فني بقتلهم و أرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة " [192] ، وهذا دليل على نفسيتها العالية و ثقتها الكبيرة بالله عزوجل ، و إنها تحكمت في زمام الأمور رغم الموقف الهائل الذي كانت فيه و هو موت أولادها الأربعة .

مستقرة و محنكة، و صابرة في نفس الوقت " قيل سئل جرير من الشعر الناس؟ ، فقال: أنا لولا هذه الخبيثة ، يعني الخنساء ، و قال بشار فيها : لم تقل امرأة قط شعرا إلا تبين الضعف فيه ، فقيل له: أو كذلك الخنساء ؟ قال تلك فو ق الرجال "[193] و هذا دليل على إنها من الشخصيات الفذة التي تنحت اسمها و كذا تاريخها عبر سنوات من الزمان بل و الأكثر من ذلك نجد أكابر الشعراء كالنابغة مثلا يقدمها هي على الشعراء الآخرين في تنظيم القصائد و خاصة تلك المتعلق برثاء أخيها صخر" فهي في أول أمرها تقول الشعر و لا تكثر منه، حتى قتل أخواها معاوية و صخر، فحزنت عليهما حزنا كبيرا و خصوصا على صخر وكان أحبهما إليها كما كان عليه من الحلم و الجود و التقدم في عشيرته و الشجاعة و جمال الوجه ، ففتق الحزن أكمام شاعريتها فنطقت بشعر هو آهات نفس لائعة ن ونفثات صدر متألم حزنا و دموعا قلب جريح "[194]، وهذا يعطينا فكرة أخرى عن شخصيتها و خاصة نفسيتها التي تألمت و حزنت لفراق أخيها المحبوب اليها صخر.

---

1): أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، المرجع السابق ، ص (59).
2): الخنساء ،ديوان الخنساء ،دار صادر، بيروت ،لبنان ،ص (06)
3): المرجع نفسه ص (05)
4): المرجع نفسه،ص (06)

1: المرجع السابق ،ص (06)

فهي إذن انسانة حساسة، ذات مشاعر رقيقة، ولكنها في نفس الوقت نلمس فيها تلك القوة الخفية التي تمتلكها أي أنثى كانت، ومن الرثاء الذي قالته الخنساء في حق أخيها قولها :

" يا عـين مـالك لا تبكين تسكابا اذا راب دهر و كان الدهر رياب
فابكي أخـــاك لأيتام و أرملــة و ابكي أخاك إذا جاورت أجنــاب و ابكي أخاك نحيل
كقطاعصـــبا فقدنا لما ثوى سيبا و أنهاب "

و لو نلاحـــــظ جدا في هذه الأبيات الثلاثة لوجدنا أن لفظة " أخاك " تكررت ثلاثة مرات و هذا دليل على قوة و متانة العلاقة التي تربط الخنساء بأخيها صخر، فهي رثته أكثر من رثائها لأولادها الأربعة ، وهذا أيضا يحيلنا إلى أن الطفولة التي مرت بها الخنساء حتى و أن لم نعرف عنها شيئا كثيرا، الا أننا نكتشف أنها عندما كانت صغيرة في السن هي على الأرجح كانت قريبة جدا من أخيها في أكثر من أخيها الأخر و هو معاوية ، فانعكست هذه العلاقة في كثرة رثائها لأخيها صخر لا غيره.

10- دراسة نفسية لشخصية الشاعر " لبيد بن ربيعة "

لقد جاء في نص رسالة الغفران عن لبيد بن ربيعة قوله: " فبينما هم كذلك، إذ يمر شاب في يده محجن ياقوت فيسلم عليهم فيقولون: من أنت ؟ فيقول : أنا لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كليب ، فيقول : أكرمت! أكرمت ! ! لو قلت: لبيد وسكت لشهرت باسمك !فما بالك في مغفرة ربك ؟ فيقول : أنا بحمد الله في عيش قصر أن يصفه الواصفون، لا هرم و لا برم ، فيقول الشيخ تبارك الملك القدوس ! كأن لم تقل في الدار الفانية.

ولقد سئمت من الحياة و طولها و سؤال هذا الناس كيف لبيد " [195]

إذن هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عمرو بن صعصعة العامري، عاش خمسا و أربعين سنة بعد المئة (145) و قيل بل خمسا و خمسين بعد المائة (155) " نشأ في قومه كريما ، وفارسا شجاعا وكان له أخ اسمه اربد، أصابته صاعقة فحزن عليه ورثاه بشعر حافل بصدق العاطفة و عمق الحسرة " [196]فهو ذو نزعتان نوعها عاطفية حساسة اتجاه أقاربه و نزعه القوة ، و الشجاعة و الفروسية وسط قومه و قد عد لبيد من شعراء الجاهلية الإشراف المجيدين و من أصحاب المعلقات السبع و كان خير شاعر لقومه يمدحهم و يرثيهم و يعد أيامهم و وقائعهم و شعره فخم شريف المعاني يدور أكثره حول الحماسة و الفخر و المديح و الرثاء و الوصف.

و قد انقسم النقاد و الرواة في شأن لبيد " منهم من يزعم أن لبيدا لم يقل في الإسلام شعرا و منهم من يقول: إن شعر لبيد في الإسلام كثير و سواء قال او لم يقل في الإسلام شعرا فله قوله:

الحمد لله إن لم يأتيني اجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربال " [197]

و نحن تطرقنا إلى عرض هذه النقطة من حياته لأن في سجله التاريخي ما يؤكد انه أدرك الإسلام و كذلك دواوينه التي تدل على ذلك و قد " شهد لك النابغة بأنه اشعر العرب ، كما شهد النعمان بن المنذر و كان لبيد صبيا حين زاره مع اعمامه فسأل النعمان عنه فنسب إليه فقال له: يا غلام أن عينك لعينا شاعر افترض من الشعر شيئا ؟ قال: نعم، قال فأنشدني ، فانشده قوله:

الم تلمم على الدمن الخوالي لسلمى ، بالمذائب فالقفال

فقال له النعمان : آنت اشعر بني عامر زدني فانشده:

طلل لخولة بالرسس قديم بمعاقل فالانعمين و شوم"[198]

رغم ان لبيد بن ربيعة تربي في كنف أعمامه بعيدا عن الجو العائلي الذي يتربى فيه أي طفل سوى، الا انه اكتسب منذ صغره شخصية ايجابية و قوية و الدليل على ذلك وقوفه بين اكبر الملوك

---

2): أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، مرجع سابق، ص (41

1): يوسف عطا الطريفي ، شعراء العرب ، العصر الجاهلي ،المرجع السابق، ص 338.:

[2]): المرجع نفسه، ص (338)

[3]) المرجع نفسه، ص (340)

" النعمان " و مناقشته له و قدرة ذلك الصبي الصغير على الإجابة التي كانت تتلو كل سؤال كان يسأله له النعمان هنا نستشعر أن لبيد بن ربيعة اكتسب ميزة أوصفه الثقة بالنفس منذ صغره ورغم بعده عن والديه.

خاتمـــــة:

الأدب ما هو إلا تعبير عن حالة شعورية، في صورة أدبية راقية و بمحاولة كشفنا عن هذه الحالة استنبطنا ما يلي:
اية محاولة لدراسة شخصية أدبية وجب فيها إدخال الجانب السيكولوجي الذي يسمح لنا وضع تلك الشخصية في صورتها الصحيحة، بتطبيق نتائج علم النفس على شخصيات الأدباء و الشعراء من خلال نتاجهم الأدبي منهم:

- **امرؤ القيس**: وجدنا وفق التحليل النفسي، انه ذو نفسية مستقرة، و شخصية قوية، عنيدة.
- **بشار بن برد**: نفسية مريضة، والدليل على ذلك آفة العمى التي أثرت فيه، قادته إلى الكذب على الآخرين.
- **عنترة بن شداد**: شخصية مسيطرة، واثقة بقدراتها.
- **الأعشـــى**: نفسية مرحة، شخصية مقبلة على الآخرين.
- **الحطيـــئة**: نفسية مضطربة، شخصية استغلالية.
- **الشنفرة الأزدي**: نفسية انطوائية، شخصية متوحدة.
- **زهير بن أبي سلمى**: نفسية مستقرة، شخصية أجابية، محبة، ولها قابلية التكيف مع من حولها .
- **النابغة الذبياني**: شخصية قوية، واثقة من نفسها، تتميز بالصلابة.
- **الخنـــســاء**: جمعت مابين النفسية الحساسة، والشخصية القوية الصامدة.
- **لبيد بن ربيعة**: شخصية صلبة، جريئة ذات مواقف.

أما فيما يخص نفسية، وشخصية صاحب" رسالة الغفران" أبي علاء المعري، فهي نفسية مضطربة، وشخصية ممزوجة بين القوة و الضعف، نظرا للمفارقات و الإنزلاقات الحياتية التي مر بها.

قائمة المصادر والمراجع :

_ أبو العلاء المعري: اللزوميات ج1 ج2.منشورات محمد علي بيضون ،لبنان2001،
_ أبو العلاء المعري : رسالة الغفران ك تقديم الطاهر مدور، موفم للنشر، الجزائر ،1989
_ أحمد حسن الزيات:تاريخ الأدب العربي ، دار الثقافة ،لبنان ، ط28.
- أحمد حيدوش ، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر، 1990، ص 14
_ أحمد عزام: توطئة في علم النفس الأدبي، التحليل النفسي للأدب، شبكة ضفاف الابداع.
_ أحمد رحماني، نظريات النقد النفسي وتطبيقاتها، مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 2004.
_ الخنساء: ديوان الخنساء ، دار صادر، بيروت، لبنان .

_ امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط5، 2005.
_ بسام قطوس، المدخل إلي مناهج النقد المعاصر ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية،ط1.،
_ جان بلامان نويل،التحليل النفسي والأدب ،منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1 ،1996.
_ حامد حنفي داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ، ديوان المطبوعات ،الجزائر، ط2 ،1993.
_ حسين علي فايد، المشكلات النفسية الاجتماعية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط 1 ،2005.
_ حيان بنوق، الحوار المتمدن ،العدد627 ،2003.
_ خلف عبد الله زينات، نقد الشخصية العربية .مجدولاوي للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن،ط1 ،2004.
-رشوان عبد الله، يومية سياسية، مؤسسة الوحدة،2007.
_ زين الدين المختار، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجا)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1998.
_ سراج الدين محمد،الزهد والتصوف في الشعر العربي ، دار الراتب الجامعية ،بيروت.
_ شوقي ضيف،ومذاهبه ، دار المعارف، القاهرة ،ط 12 ،1993.
_ صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ،دار الافاق العربية ، القاهرة.
_ طارق كمال، الإعاقة الحسية ، المشكلات والتحدي ،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.
_ عبد الحكيم حسان،ا لتصوف في الشعر العربي ، نشاته وتطوره من آخر القرن 3ه، مكتبة الآداب،القاهرة،2003.
_ عبد العزيز جسوس، إشكالية الخطاب العلمي في النقد المعاصر ،دار مراكش، ط1 ، 2007.
_ عبد القادر محمود،رحلة الي دار الآخرة مع المعري و دانتي ،مركز الكتاب للنشر،الإسكندرية، ط1 ،1997.
_ عبد القادر زينات، قضايا العصر في أدب أبي العلاء ،، دار الوفاق لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية، ط1، 2006.
_ عبد المنعم الميلادي، الشخصية وسماتها ،مؤسسة شباب الجامعة .
_ عثملن موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية ج1، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، 2005.
_ عصام شرتح: التراث العربي ،استدعاء شخصية المعري في الشعر العربي المعاصر.
- علي وطفة ، الأدب و مصائد التحليل النفسي ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد 286 و 287 ، 1995
_ عمر فروخ تاريخ الأدب العربي ،الأدب العربي ، دار العلم للملايين، ج 1 ،ط2 ،1992.
_ عنترة بن شداد، ديوان عنترة ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2 ،2005.
_ فؤاد افرام: البتاني، المجاني الحديثة ج1 ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط2،
_ قاسم حسين صالح،هاملت شكسبير ،تحليل شخصيته وتردده.،الحوار المتمدن،العدد 1885. 2007.
- كارين ماكوفرت،سيد ابراهيم ليلة ، الشخصية في رسم الشكل الانساني ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت 1987.
- كاميليا عبد الفتاح ، الشعر العربي القيم ، دار المطبوعات الجامعية .
- مامون صالح ،الشخصية ، بناءها ، تكوينها، انماطها ،اضطراباتها ، دار اسامة للنشر و التوزيع ، الاردن " ، 2008 .
- محمد اسامة العبد ، يومية سياسية (الثورة) مؤسسة الصحافة و الطباعة و النشر ، دمشق،سوريا 2005.

-محمد خفاجي ، الحياة الادبية في العصر العباسي – الاسكندرية ط1 ، 2003.

- مصطفى السيوفي ، تاريخ الادب في العصر الجاهلي ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية نمصر ط 2008 .
- حمد عبد العزيز الكفراوي ، تاريخ الشعر العربي في صدر الاسلام و عصر بني امية ، مجلد دار النهضة ، مصر للطباعة و النشر ، القاهرة .
- محمد زغلول سلام ، مدخل الى الشعر الجاهلي ،مطبة الانتصار، الاسكندرية .
- منى صبحي الحديدي ، مقدمة في الاعاقة البصرية ، دار الفكر للنشر و التوزيع ، عمان ط 3 ، 2009.
- منير سلطان ،التضمين و التناص ، وصف رسالة الغفران للعالم الاخر ، مطبعة عصام جابر 2003.
- ميسون محمود فخري العبهري ، النقد الاجتماعي في لزوميات المعري ، جامعة النجاح الوطنية ،كلية الدراسات العليا ، نابلس، فلسطين، 2005.
- وقاد ابراهيم ، الفلسفة و الشعر ، دار الغريب للطباعة و النشر ،القاهرة 1999،.
- يوسف عطا الطريفي ، شعراء العرب في العصر الجاهلي ، الاهلية للنشر و التوزيع ، الاردن، ط 1 ، 2006.
- يوسف وغليسي ، مناهج النقد الادبي ، جسور للنشر و التوزيع ، الجزائر ط 2006.
- يوسف وغليسي. النقد النفسي (اتجاهه ، مفاهيمه ، و أسسه، أعلامه) جامعة قسنطينة الجزائر،2006.

الفـهــرس :

مقدمـة:
مدخـل : علاقـة الأدب بعـلم النفس.....01
1 . الفصـل الأول: نشـأة النقد النفسانـي.....09
1-جـذوره ونشأتـه.....10
2-آلـيـاتــه.....12
3- نـظريـات النـقد النـفسـي وتطبيـقاتها.....14
4- أهـمية التحليـل النفسـي بالنـسبة للأدب.....15
5- عيـوب التطبيقات النفسانيـة 30
2. الفصل الثاني: أبو العلاء المـعري و إبـداعه الأدبـي.....31
1 -لمحة عنـه(اسمه،كنيـته،لقبـه،تعلـمه،آثـاره). 32
2 -شخصيته السيكولوجية.....42
3-فلسفته في الحـياة.....49
4 - زهـده.....54
5-مـعتـقده الديـني.....57
3 . الفصل الثالث: دراسة نفسية لبعض شخصـيات " رسالة الغفران "
لأبي العلاء المعري" 61
1- دراسة نفسـية لشخصيتي" امرؤ القيس و بشار ابـن برد." 65
2- دراسة نفسيـة لشخصيتي" عنتـرة ابن شـداد و الأعـشى" 69
3 - دراسة نفسـية لشخصيتي "الحطيـئة و الشـفرة الازدي" 73
4- دراسة نفسـية لشخصيتي" زهير ابن أبـي سلمى و النابغة الذبيـاني". 76
5 -دراسة نفسـية لشخصيتـي" الخنسـاء و لبيد ابن ربيـعة" 80
خاتمة 83
قائمة المصادر و المراجع.....84

الفهرس.